



جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:/.....

1- رقم التسجيل: 20064102671

2- رقم التسجيل: 201435082020

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر: تخصص: لسانيات عامة

بعنوان:

تداولية الخطاب الإشاري عند الرسول ﷺ انموذجا صحيح البخاري

إعداد الطالبتين:

- بن الصغير أسماء

- فراحتية نجوى

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

د/ عبد القادر العربي الرتبة: أستاذ محاضر جامعة المسيلة رئيسا

د/ عرباوي محمد الرتبة: أستاذ محاضر جامعة المسيلة مشرفا ومقررا

د/ هشام ميداغين الرتبة: أستاذ محاضر جامعة المسيلة ممتحنا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ - 2019-2020 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

الحمد لله حمدا كثيرا وكبيرا علي هذه الساعة واللحظة التي وصلت إليها في حياتي.
إلى الوالدين الوالدين الحبيبين والغاليين أطل الله في عمرهما وأعطاهما دوام الصحة والعافية
إن شاء الله.

إلي أخوتي وأخواتي وأزواجهم وزوجاتهم وأولادهم الكناكيت من كبيرهم إسلام إلي أصغر فرد
مريم الكتكوتة الصغيرة.

إلي أختي الحبيبتين ونورا عيني دلال وخدوج اللذان كانا أكبر سند ودعم لي في كل حالاتي
وأوقاتي الصعبة.

إلي صديقتي العزيزة كذلك نور سعدي التي ساندتي هي الأخرى كذلك.

إلي كل من من أعطي يد العون لي ولم أذكرهم في إهدائي هذا داعية من الله لهم بكل
الخير والامتنان.

إلي أستاذي الفاضل محمد عرباوي الذي لم يكن مجرد أستاذ مشرف لي بل أكثر من
ذلك.

نجوى

إهداء

أولاً، أهديه لأرواح كانت معنا وفقدناها، أجدادي، لقطعة من قلبي أحمد، ولشقيقتي أسماء ولأبي الثاني شادي سليمان، ولقدوتي في العلم ومنازة له الأستاذ الدكتور نور عبد الرشيد، رحمهم الله وجمعنا بهم في جنة الفردوس.

ثانياً، لأناس لايزالون معنا وندع الله أن يطيل في أعمارهم... لمن لهما الفضل في تواجدي في هذا الصرح العلمي، والدي العزيزين.

إلى سندي ورفيقي وصاحبي: عبد الباسط مبروك، إلى من هم قطعة من روحي وصاروا أغلى منها: آمنة، سليمان، نوح.

وإلى من كانوا أهلاً لي: مسعودة، محي الدين، الحسين، عبد المؤمن وإلى زوجاتهم وأبنائهم. إلى صديقات هن الأنس، يعلمن من هن ويستغنين عن ذكرهن.

إلى الأستاذ المشرف الذي ثابر معنا لنصل إلى نقطة النهاية: الأستاذ الدكتور عرابوي محمد.

ولكل من يعلم أن له مكاناً حسناً في ذاكرتي فهذا البحث، مهدى له.

بن الصغير أسماء



مقدمة

مقدمة:

إن الإنسان ذو طبيعة اجتماعية تدفعه للتواصل مع الآخرين سعياً منه للوصول إلى مبتغاه المنشود في حياته الخاصة والعامة على حد سواء، مما يجعل الكلام مهما بالنسبة إليه، فلا تواصل بدونه، إلا أن هذا التواصل قد يحتاج في حالات مختلفة إلى عناصر أخرى غير لغوية، لإنجاح الرسالة التواصلية، فيلجأ إلى وسائل مختلفة حسب الحالة التي يكون فيها، ولكن الوسيلة الأكثر شيوعاً والتي ترادف الكلام في العملية التواصلية هي العنصر الإشاري باختلاف العنصر المشار به وإليه.

وبعد إدراك أهمية التواصل، سعت الدراسات اللغوية إلى تكثيف الجهود لتفسير هذه الظاهرة وتنظيم قوانينها لتحديد الكلام السليم الصحيح من الخطأ وكيفية إنجاز العملية التواصلية برمتها، فعرفت ساحة البحث اللساني في العصر الحالي العديد من المناهج البحثية والنظريات اللسانية التي توالى في تناول اللغة وتحليلها، حيث اعتبرت النظرية التداولية أبرز تلك النظريات وأشملها وأدقها في تناول مسألة استعمال اللغة وتمحيص قضية التواصل البشري.

وبما أن التداولية تهتم باستعمال اللغة في العملية التواصلية من كل جوانبها وأركانها، فلغة الحديث الشريف تشكل مظهراً للتخاطب البشري، ويجمع بين الخطاب الملفوظ والخطاب الإشاري، لكن الإشكالية المطروحة عندنا هي ما مدى تداولية الخطاب الإشاري النبوي؟ ونقصد بهذا التساؤل معرفة مدى قدرة المنهج التداولي على تحليل الخطاب الإشاري عند الرسول ، وكذا كشف درجة نجاح أبعاده التواصلية لدى المتلقين عامة.

من هذا المنطلق خصصنا بحثنا حول الخطاب الإشاري في الحديث النبوي ومقارنته تداولياً في بعض أحاديث صحيح البخاري، وعليه صغنا العنوان على الشكل الآتي: **تداولية الخطاب الإشاري عند الرسول صحيح البخاري نموذجاً.**

وتتفرع عن الإشكالية المحورية السابقة إلى عدة تساؤلات، منها:

- ما مفهوم التداولية؟ كيف نشأت؟ ماهي الجذور الأولية لإرساء معالم التداولية؟ ما هي مهام التداولية ومفاتيحها ومباحثها؟

- ماهي أهمية لغة الإشارة عند النبي في التواصل وتبليغ الرسالة الإسلامية؟ وكيف يمكن تطبيق مبادئ التداولية على الخطاب الإشاري النبوي؟

ومن بين الأسباب التي أدت بنا إلى هذا الاختيار: حب الاطلاع على المناهج الجديدة في التخصص اللغوي. ورغبتنا في تناول موضوع الإشارة الحركية في الأحاديث النبوية باعتباره موضوعا ندر البحث حوله.

وكان هدف الدراسة، إبراز دور التداولية في التحليل ونجاحها في اللغة اللفظية وغير اللفظية، والنظر في الموروث الديني الحنيف ومدى استيعابه لوسائل التواصل المختلفة بنجاح.

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي المناسب لدراستنا هذه، وما يتضمنه من آلية التحليل والتفسير وغيرهما في الجانب النظري، والمنهج التداولي في الجانب التطبيقي. وعليه قمنا بتقسيم البحث حسب الخطة الآتية: مقدمة وفصل نظري يليه فصل تطبيقي ثم خاتمة تضمنت نتائج البحث.

الفصل الأول بعنوان: الفرش النظري للتداولية والخطاب الإشاري، ويندرج تحته في المبحث الأول تحديدات مفاهيمية للتداولية، وفيها: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتداولية، ونشأة التداولية والجذور الأولية لموضوعها، وأنواع التداوليات ومهامها ومفاتيحها ومباحثها. وتناولنا في مبحثه الثاني تحديدات مفاهيمية للخطاب الإشاري، وفيها: تعريف الخطاب وأنماطه، وتعريف النص وأنواعه، والفرق بين النص والخطاب وفق المنظور التداولي، وتعريف الخطاب الإشاري.

أما الفصل الثاني فكان الجانب التطبيقي للبحث، وفيه تم انتقاء بعض الأحاديث المتضمنة لعناصر الإشارة المختلفة والمستخدمة من قبل الرسول ومحاولة إخضاعها لأدوات المنهج التداولي. وقد تم تقسيمه حسب نوع الإشارة المستخدمة، مرتبا من الكل إلى الجزء

كالآتي: الإشارة بهيئة الجلوس والمشي، الإشارة بملامح الوجه، الإشارة باللسان، الإشارة باليد، الإشارة بالأصابع، الإشارة بالأدوات المادية.

ومهدنا لكل فصل بمدخل مناسب لموضوعه كما ختمنا كل فصل بخلاصة حوصلت ما جاء فيه، وضمت ما أمكن استنتاجه.

وقد تم إنجاز هذا العمل بالاعتماد على عدة مراجع ومصادر مختلفة، كانت المورد لنا في هذا الإنجاز أهمها: كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب حركة اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي لعبد الرحمان عطا الله، وكتاب المقاربة التداولية لفرانسواز، ترجمة سعيد علوش، وكتاب التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي.

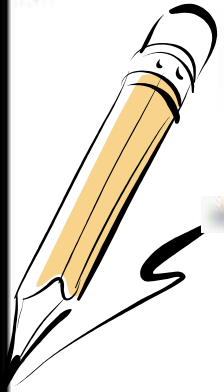
وكل عمل يقوم به الإنسان، لابد أن تواجهه عقبات مختلفة، اجتماعية ومادية وحتى النفسية منها، وفي هذا البحث المنجز في هذه الفترة بالتحديد كان أهم حاجز لنا هو الوضع الصحي المتأزم الذي تشهده البلاد والعالم أجمع جراء جائحة الفيروس التاجي كوفيد-19 (كورونا)، الذي ترتب عنه غلق الجامعات، مما حال بيننا وبين العمل الجماعي الفعلي بين أصحاب البحث والأستاذ المشرف، وأصبح الاتكال الكلي على العالم الافتراضي الالكتروني فحسب. كما حال بيننا وبين الكتب الموجودة في المكتبات وأصبح الاعتماد على المواقع والكتب الالكترونية فقط.

وكما تصادف الإنسان مشاكل فإن الله يجعل له أسبابا للتوفيق، فكان هذا البحث المتواضع الذي هو أماننا بتوفيق من الله أولا، ثم الأستاذ المشرف الدكتور محمد عريايي نظير ما قدمه لنا من توجيهات قيمة وإرشادات طيبة وصبر على زلاتنا. والشكر موصول أيضا للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على ما يقدموه من نصائح وتصويبات، ولكل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث ونخص بالذكر الدكتور عبد الباسط والدكتورة أولبصير سيليا والأستاذة بركي إيناس.

والحمد لله حمدا كثيرا مباركا على منحه لنا الطاقة والصبر والقدرة على إتمام هذا

البحث..

الفصل الأول



الفرش النظري للتداولية والخطاب الإشاري



أولاً: تحديدات مفاهيمية للتداولية

ثانياً: تحديد مفاهيمي للخطاب الإشاري

سنحاول في هذا الفصل تقديم فرش وصفي نظري لأهم مفاتيح هذا البحث وهما المبحثان: التداولية، والخطاب الإشاري، ونرجئ بيان موضوع الخطاب النبوي إلى الفصل التطبيقي.

وسنتطرق في مبحث التداولية إلى جملة من العناصر هي: تعريفها، نشأتها، أنواعها، مهامها، مفاتيحها، مباحثها. أما فيما يتعلق بمبحث الخطاب الإشاري فسنعرض إلى العناصر الآتية: تعريف الخطاب وأنماطه، تعريف النص وأنواعه، لنصل إلى ضبط الفرق بين النص والخطاب وفق المنظور التداولي، ثم تحديد ماهية الخطاب الإشاري. وهي في مجملها عبارة عن تحديدات مفاهيمية نظرية للبحث تعيننا على تمحيص الخطاب الإشاري النبوي على ضوءها في الفصل التطبيقي.

أولاً- تحديدات مفاهيمية للتداولية:

تعد التداولية أحد أبرز المجالات والمباحث التي تميزت بالخصوصية والثراء والسعة والتي تطورت إبان سبعينيات القرن العشرين فامتدت دائرة الاهتمام بها وتعددت مفاهيمها وكثرت فروعها حسب اتجاه ومنهج ودافع كل باحث وكذا المجال الذي تدرس فيه فاكتملت بذلك العديد من المحاور التي سنقوم بانتقاء بعض منها واستعراضها على النحو الآتي:

1- تعريف التداولية:

1-1- التداولية لغة:

جاء في حديث أساس البلاغة للزمخشري، دول، دالت الدولة ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكرة لهم عليه وأدبل المؤمنين علي المشركين يوم بدر وأدبل المشركون علي المسلمين يوم أحد والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم وتداولوا الشيء بينهم والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما¹

¹ الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص303.

أما في قاموس الصحاح للرازي: دَوْلٌ - (الدَّوْلَةُ) هي الحرب أن تَدال إحدى الفئتين على الأخرى يقال كانت لنا عليهم الدولة والجمع (الدَّوْلُ) بكسر الدال و (الدَّوْلَةُ) بالضم في المال يقال صار الفيء دولة بينهم، يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دَوْلَاتٌ و (دَوْلٌ) وقال أبو عبيدة (الدَّوْلَةُ) بالضم اسم الشيء الذي يتداول به بعينه و (الدَّوْلَةُ) بالضم اسم الشيء الذي يتداول به بعينه و (الدَّوْلَةُ) بالفتح الفعل¹.

وفي لسان العرب لابن منظور: تداولنا الأمر أخذناه بالدول، وقالوا دَوَّالِيكَ أي مداولة علي الأمر، ودَالَتِ الأيام أي دارت، والله يداولهما بين الناس، و تداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى عمل هذا مرة وذاك مرة².

وقد ورد في قاموس المحيط: الدَّوْلَةُ: انقلاب الزمان والعقبة في المال ويُضمُّ أو الضم: فيه والفتح: في الحرب، أو هما سواءً أو الضمُّ: في الآخرة، والفتح : في الدنيا، ج: دَوْلٌ، مثْلثةٌ وقد أدالهُ .

وتداولوه: أخذوه بالدَوْلِ ودَوَّالِيكَ أي: مداولةً على الأمر، أو تداولاً بعد تداولٍ، وقد تدخله أل فيجعل اسماً مع الكاف . يقال: الدَّوَالِيكَ، وأن يتحفز في مشيته إذا جال³.

يتضح مما طرح لدينا من المعاجم والقواميس العربية أنَّ جُلَّها تعتمد علي الجذر (د ول) والذي يدل علي معاني التحول والتغيير والتبدل من حال إلي حال ومن مكان إلي مكان، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتغيير وهذا هو حال اللغة متحولة ومتنقلة ومتداولة بين الناس، ومن هنا كان مصطلح التداولية هو الأنسب والأصح لهذه الدلالة علي غرار المصطلحات الأخرى: الذرائعية، النفعية، السياقية.....

¹ الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420.1999م، ج1، ص90.

² ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، 2004، مج5، مادة: دول، ص327-328.

³ مجد الدين الفيروزبادي، القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، القاهرة، 1429-2008، ص577.

1-2- التداولية اصطلاحاً:

لقد كان للتداولية النصيب الأكبر والأوفر بالتعريف بها من مختلف الميادين والمجالات والباحثين الأمر الذي صعب من إمكانية تحديد تعريف ثابت ومستقر لها خاصة من قبل النقاد، فكانت أغلبها تدور حول الاستعمال، والتلفظ، وكذا الجانب التواصلية للغة واستعمالها في الخطاب ونذكر منها علي سبيل المثال:

أقدم تعريف لها والذي نسب إلي الفيلسوف شارل موريس وذلك عام 1938، حيث حاول فيها ضبط ماهية التداولية وذلك بحصرها ضمن مجال السيميائية، التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات وهذا تعريف واسع يتعدي المجال السيميائي والمجال الإنساني إلى (حيواني وآلي). وذلك بقوله لفظ علامات فالعلامات هنا تشمل اللغوية والغير لغوية.¹

ويعرفها مسعود صحراوي كذلك بقوله: "التداولية علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره" ويضيف كذلك : بأنها إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف علي القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي.²

وتعرف التداولية أيضاً: بأنها علم تواصلية جديد يعني بكيفية توظيف المتكلم للمستويات اللغوية المختلفة في سياق معين. وبذلك يعترف كار ناب Carnap أن التداولية قائمة علي جملة من التساؤلات هي:

ماذا نصنع حيث نتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حيث نتكلم ؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا بينما في مقدوره أن يفعل ؟ فمن يتكلم إذن ؟ وإلي من يتكلم ؟ ومن يتكلم ؟ومع من ؟....تساؤلات كثيرة تسعى التداولية للإجابة عنها.³

¹ فرانسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، الحديثة للنشر و التوزيع، ط1، 1987، ص4.

² مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، يوليو 2005، ص16-17.

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1،

2004، ص23.

فالتداولية تُعني باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية.

وهي تمثل كذلك دراسة تهتم باللغة في الخطاب وتتنظر في الوسيطات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخابي ويضاف أيضا أنها دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت.¹

نستنتج من خلال التعريفات المذكورة سابقا أنّ التداولية هي فرع من علم اللغة، يهتم ويبحث في كيفية اكتشاف السامع لمقاصد المتكلم، فهي تبحث في كل ما من شأنه أن يقرب الفهم والتواصل بين المتكلم والسامع وفق السياق، والظروف الاجتماعية، الثقافية، تاريخية، زمنية، مكانية، وهي تمكن السامع من الوصول إلى مقاصد ومعاني وأغراض المتكلم.

2- نشأة التداولية:

مما لا شك فيه أن أي علم من العلوم باختلافها سواء القديمة أو الحديثة، أو الغربية أو العربية، فإنه لا يمكن لها أن تنشأ أو تولد هكذا من فراغ مُشَبَّعةً بمجموعة من الأسس، والمبادئ، والنظريات التي تعتمد عليها في دراساتنا. بل إنها تنشأ من خلال مرورها بمراحل مكونة من تراكمات، وتصويبات وامتدادات، وكذا تأثيرات قد تكون عبر انتقاء، أو التعبير، أو الإضافة، حيث تمكنها هذه الأخيرة من الوصول إلى ماهي عليه من النضج والكمال. وهذا ما تنطبق عليه التداولية فقد مرت بمراحل حتى بلغت ذروتها. كما ينبغي الإشارة إلى أنّ المتمعن في الأصول المرجعية للتداولية يجد أنّها كانت ملتقي لجملة من العلوم والاختصاصات المعرفية وهذا ما جعلها مميزةً بثنائها العلمي المتدفق من شتي النواحي العلمية الأخرى.

ومن البديهي أنّ أي باحث في علم ما يتوجب عليه أولاً الإطلاع على تلك الإرهاصات والبدايات الأولى لذلك العلم حتى يتأتى له معرفته وفهمه جيدا، لذلك نحاول الغوص في

¹ فيليب بلا نشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر حباشه، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية، اللاذقية، ط1، 2007، ص18-19.

الجذور الأولية لموضوع التداولية من خلال طرح آراء مجموعة من الباحثين الذين كان لهم الفضل الكبير في إرساء هذا العلم نذكر منهم:

2-1- رأي شارل سان درس بيرس:

يعتبر الفيلسوف بيرس من الأوائل الذين أحدثوا تطور في المجال اللساني والفلسفي، حيث ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم السيموطيقا، فهو يعتبر التداولية عبارة عن منهج في التفكير لا نظرية فلسفية لجأ إليها لمعرفة الواقع وقد مر تفكيره بثلاث مراحل:¹

المرحلة الأولى: أن البراغماتية لم تظهر ملامحها إلا حينما كتب مقاله المشهور سنة 1878 "كيف نجعل أفكارنا واضحة".

فهي عنده تجعل التفكير في علاقة بالفعل لكنها تستبعد أن تكون مجموعة الأفعال المترتبة على اعتقادنا بالشيء، هي معني ذلك الشيء وقد ميز هذه المرحلة سمتان:

- أن معنى المفهوم ذو طبيعة عقلية.

- أنه عاما عنده فهو نظرية في معني الأفكار ليست رسمية بل إجرائية.

المرحلة الثانية: ربطه لمفهوم البراغماتية بالفينولوجيا وقيامه بمعالجتها في سبعة محاضرات ملخصاً في المحاضرة الأولى الأخطاء التي وقع فيها بخصوص تعريفه المبكر لها، بتصوره أنها نتيجة لمعتقد، ثم يصل بعدها أنها ترتبط بالاستدلال والفرض فهي منطلق له (الفرض).²

المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة بلغ تفكير الفيلسوف قمة النضج وذلك بتقديمه دروسا ونظرية متكاملة من الفهم الإجرائي للقاعدة البراغماتية إلى الفهم المنطقي الخالص. واهتم كذلك بالإشارة اهتماما بالغا وبحث عن الطرق التي بواسطتها يتم الاتصال بين الأفراد وجعلها نظريه يعتمد عليها.

¹ نعمان بوقره، المدارس اللسانية المعاصرة، نشر مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص171-173.

² المرجع نفسه، ص174.

وقد بدأت معالجته لهذه النظرية من خلال مستويين متماثلان في مقالتي نشرهما بعنوان:

ماهية البراغماتية ؟ ونظرة في البراغماتية. مشيراً في مقالاته أن البراغماتية تهدف إلي وضع حد للنزاع القائم في الميتافيزيقا وهو بهذا التحليل يعيد لها الطابع العقلي، بهذه الخطوة يكون قد خطي خطوة كبيرة نحو تاريخ الفكر بنقله من الميدان المحسوس والجزئي إلي ميدان المعقول والعالم.¹

2-2- رأي تشارلز وليام موريس:

لقد استطاع موريس الفيلسوف الأمريكي تلميذ بيرس مواصلة بحث أستاذه السيميائي وحقق فيه نتائج طور بها البرجماتية اللسانية وعد مؤسسها الحقيقي متأثراً بالفلسفة التحليلية في دراسة اللغة حيث تظهر التداولية عنده في تقسيمه علم الرموز إلي :

علم التركيب : دراسة العلاقة الشكلية بين تركيب الجملة.

علم الدلالة: دراسة علاقة الرموز بالأشياء التي تشير إليها.

البراغماتية اللسانية: دراسة علاقة الرموز بمفسمي هذه الرموز وعلاقة العلامات بمفسميها.

لم يكتف موريس بدراسة البنية اللغوية دراسة وصفية بل أضاف إليها دراسة المعني ودراسة علاقة اللغة بمستخدميها وخص بهذا الجانب البراغماتية اللسانية وطرح أول تعريف لها :

"هي دراسة علاقة العلامات بمستعمليها". وهو بهذا التعريف يوسع من مجال التداولية لتشمل العلامات اللغوية والغير لغوية، وهو هنا يعدها جزء من السيميائية.²

كما أنه يرى أن التداولية لا تدرس اللغة المنطوقة وحدها بل تدرس أيضاً العلاقة بين الرموز أو العلامات المستخدمة وما تشير إليه، وعلاقة العلامات بعضها ببعض، والعلاقة

¹ نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص 174-175.

² محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 28-29.

بين العلامات المؤولة ومستخدميها، ومجال الاستعمال. فالتداولية هي أهم إضافة في جهود موريس إلي جانب استحداثه نظام الشفرة.¹

2-3- رأي جون أوستن (J.Austin):

لقد كان هدف الفيلسوف جون أوستن من وراء إلقاءه محاضرات وليام جونس عام 1955 بتأسيس اختصاص فلسفي جديد هو "فلسفة اللغة" وقد نجح في ذلك، بيد أنه لم تتضح ولم تصل إجراءات البحث حول اللغة درجة النضج إلا بعد مجيء الفيلسوف جون أوستن الذي تأثر بما جاء به فينجشتاين حيث اعتبر أن اللغة تستخدم لوصف العالم وما هي إلا إدارة لوصف الواقع والوقائع الخارجية.

وقد تصدي أوستن لهذه الفكرة وأنكر أن تكون للغة وظيفة أساسية هي الأخبار ووصف الحال.

ويمكن تلخيص فكرة أوستن في نقطتين: النقطة الأولى في رفضه ثنائية الصدق والكذب، والنقطة الثانية في إقراره بأن كل قول عبارة عن عمل.

كما يشير أوستن إلي أنه يمكن الحكم علي كل الجمل عدا (الاستفهامية، أمرية، تعجبية) بأنها صادقة أو كاذبة وأنه توجد جمل أو أقوال لا يمكن الحكم عليها بالصدق والكذب ولا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره. ويطلق أوستن علي الصنف الأول من الجمل والتي يحكم عليها بالصدق والكذب بأنها وصفية. و الصنف الثاني بأنها إنشائية حيث تنتم عن الوصفية بكونها تستند إلي ضمير المتكلم في زمن الحال وتتضمن كذلك فعل. وإفادة معناها بوجه دقة هو انجاز عمل ويمكن الحكم علي هذه الأخيرة أيضا (إنشائية) بمعيار التوفيق والإخفاق.²

¹ محمود عكاشة، المرجع السابق، ص 30.

² د:جيلالي دلاش، مدخل إلي اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1983، ص 22.

ثم ينتقل بعدها أوستن إلي إجراء مقابلة بين الجملتين ويقول أن الأمر ليس بهين فنجد بعض الجمل الإنشائية علي سبيل المثال لا تستند إلي ضمير المتكلم في زمن الحال ولا تتضمن فعلا إنشائية، الأمر الذي جعله يحيل تمييز جديد وهو أن كل تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد علي الأقل ويميز بهذا بين ثلاث أنواع من الأفعال اللغوية:

. العمل الأول: العمل القولي الذي يتحقق ما إن تتلفظ بشيء ما.

. العمل الثاني: العمل المتضمن في القول وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما.

. العمل الثالث: هو عمل التأثير بالقول وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا أمر ما.¹

لقد قام أوستن في الأخير بتجميع الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى تحتوي علي:

1. الأفعال اللغوية الدالة على الحكم verdictifs: قدر، حكم علي ...

2. الأفعال اللغوية الدالة على الممارسة exercitifs: نصح، حذر ...

3. الأفعال اللغوية الدالة علي الوعد commisifs: وعد، كفل، التزم .

4. الأفعال اللغوية الدالة علي السيرة conductifs: شكر، هنا، لعن، ...

ووظيفة هذه الأفعال ضبط سيرة وسلوك المتكلمين الاجتماعي.

5. الأفعال اللغوية الدالة علي العرض expositifs: افترض، اعترف، رد...

وتقوم هذه الأفعال بضبط مكانة أقوالنا داخل الحديث والحوار.²

2-4- رأي ج. ر. سيرل (J. R. Searle):

يعتبر (سيرل) أحد رواد نظرية أفعال اللغة حيث أنه نحا نفس منحي أوستن فيما يخص الأفعال المنجزة، من خلال توجيهه بعض الانتقادات والإضافات في دراسات أوستن لأفعال اللغوية التي لم تبين علي أصول واضحة وإلي وجود تداخل بين مجموعات الأفعال اللغوية. الأمر الذي يلفت الانتباه أن دراسات أوستن كانت موجهة نحو دراسة الألفاظ وليس

¹ آن وبيول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دعنوس و محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص29-32.

² جلاي دلاش، مدخل إلي اللسانيات التداولية، ص25.

الأفعال؛ أي دراسة لفظ الفعل لا الفعل منجزاً.¹ لقد كانت انطلاقة (سيرل) من فكرة أنّ الأفعال الكلامية لا تكون إلا بالرجوع إلى الفعل، وأهم ما جاء به هو تمييزه بين فعل القول والفعل المتضمن في القول في مجال نظرية أفعال الكلام، كما عمل علي تحديد كل العوامل والشروط التي تسهم في نجاح الفعل اللغوي وعده بمثابة المنهج الأمثل الذي يسير وفقه لتحديد فعل أنموذجي ناجح.²

ويمكن لنا استخلاص ما قدمه (سيرل) في نقاط موجزة علي النحو الآتي:

أ- تعديله لتقسيم أوستن لأفعال الكلام وذلك بجعلها أربعة محتقظا بالقسمين لإنجازي ولتأثيري وقسم اللفظي إلى: فعل نطقي وفعل قضوي.

. الفعل النطقي: ويشمل الجوانب الصوتية، نحوية، معجمية.

الفعل القضوي: ويشمل المتحدث عنه أو المرجع المتحدث به أو الخبر، مشيراً إلى أنّ

هذا الفعل لا يقع وحده بل تستطيع أن تتطرق بفعل قضوي دون أن يكون لك قصد منه.

ب- رأيه في أنّ الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر علي مراد المتكلم بل هو مرتبط أيضاً بالعرف اللغوي والاجتماعي.

ج- استطاع (سيرل) أن يطور من تصور أوستن لشروط الملائمة والاستخدام وجعلها أربعة شروط مطبقاً هذه الأخيرة على الأفعال الإنجازية مثل: أفعال الرجاء، الأخبار، استقهام، الشكر، نصيح، تحذير....، كما بين ما يحتاجه كل منها من الشروط الإضافية أو ما يمكن الاستغناء عنه. ولم يكتف (سيرل) بذلك فقط بل أشار أن هناك اثنا عشر بعداً يختلف كل فعل إنجازي فيها عن الآخر.³

وفيما يلي نذكر بعضاً من هذه الاختلافات: اختلاف في الغرض الإنجازي، اختلاف

في اتجاه المطابقة، اختلاف في الموقف النفسي الذي يعبر عنه المتكلم، اختلاف في القوة

¹ نعمان بوقره، المدارس اللسانية المعاصرة، ص193.

² المرجع نفسه، ص194.

³ محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 71-75.

أو الدرجة التي يعرض بها الغرض لإنجازي، اختلاف في منزلة كل من المتكلم والسامع، اختلاف في سائر عناصر الخطاب والسياق الذي يقع فيه، الاختلاف في أن يكون القول دائماً فعلاً كلامياً، الاختلاف في أن تكون الأفعال قابلة للأداء أو لا تكون.

ج- تمييزه بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير مباشرة والأولية والثقاته إلى نظرية جديدة من الأفعال اللغوية الغير مباشرة هي الاستلزام الحواري¹.

3-أنواع التداوليات:

لقد نتج عن اتساع مجال البحث والدراسة في الدرس التداولي ظهور عدة فروع و تقسيمات للتداولية وكان لكل منها ميزة تميزها عن الأخرى وهذا حسب ما أشار إليه الدكتور محمود أحمد نخلة في أن التداولية تقسم إلى:

3-1-التداولية الاجتماعية: التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.

3-2- التداولية اللغوية: التي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية وهي بذلك تنطلق من اتجاه مقابل للتداولية الاجتماعية، فإذا كانت هذه تنطلق من السياق الاجتماعي إلى التركيب اللغوي فإن تلك تنطلق من التركيب اللغوي إلى السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه.

3-3- التداولية التطبيقية: وتعني بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.

3-4- التداولية العامة: وهي التي تعني بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً².

¹ محمود أحمد نخلة، المرجع السابق، ص 81/75.

² المرجع نفسه، ص 15.

4- مهام التداولية:

تتلخص مهام التداولية في:

4-1- دراسة استعمال اللغة التي لا تدرس "البنية اللغوية" ذاتها ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة أي باعتبارها "كلاما محددا" صادرا من "متكلم محدد" وموجها إلي "مخاطب محدد" ب "لفظ محدد" في "مقام تواصل محدد" لتحقيق "غرض تواصل محدد".¹

4-2- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

4-3- بيان أفضلية التواصل غير مباشر وغير حرفيا علي التواصل المباشر.

4-4- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات.

4-5- كيف نصنف الاستدلالات في عملية التواصل علما بأن الاستدلالات التداولية غير معقنة، وربما كانت غير مقنعة في كثير من الأحيان؟

4-6- فيما يتمثل نموذج التواصل الأمثل؟

4-7- فيما تتمثل العلاقة بين الأنشطة (لغة - تواصل - إدراك) وماهية العلاقة بين الفروع المعرفية المستغلة بهذه الأنشطة؟²

ما يمكن استنتاجه من خلال ما طُرح أن التداولية لها أهمية كبيرة في الحياة الإنسانية كونها تسعى في البحث عن تلك القضايا اللسانية التي تسهل وتيسر عمليات التواصل من خلال الأنشطة الإنسانية وتسعي كذلك إلي الإجابة عن العديد من التساؤلات المتعلقة باللغة والتواصل والتي عجزت بعض العلوم علي الإجابة عنها الأمر الذي زاد من سعة مخزونها المعرفي اللغوي ولا ننس كذلك تلك الإضافات التي أضافتها من خلال معالجة صور القصور في اللسانيات البنيوية والتوليدية.

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص 26.

² المرجع نفسه ص 27.

5- مفاتيح التداولية:

يرتكز البحث التداولي -كغيره من البحوث العلمية- على مفاتيح ومصطلحات ينطلق منها، وتعتبر قواعد يعتمد عليها أثناء دراسته الوصفية والتحليلية، للوصول إلى درجة التحكم والضبط في الدرس التداولي. وأهم هذه المفاتيح نجد:

5-1- الفعل: تعتمد التداولية على مصطلح الفعل الذي يعتبر أحد ركائزها والذي يُعرف بكونه ينتبه إلي أن اللغة لا تخدم فقط لا في البداية ولا بشكل خاص تمثيل العالم، بل تخدم إنجاز أفعال. أما الكلام هو أن نفعل وبمعني واضح هو فعلا فعل في الآخرين وبمعني غير واضح تدشين معني. والقيام علي كل حال ب"فعل كلام " إذ يوجه مفهوم الفعل هذا نحو مفاهيم أكثر دقة وأكثر شمولية للتفاعل والتسوية.

5-2- السياق: يعتبر السياق هو الآخر أحد أعمدة البحث التداولي بكونه الوضعية الملموسة التي توضع وتتطلق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان وهوية المتكلمين... وكل ما نحن بحاجة إليه، من أجل فهم وتقويم ما يقال.

وهكذا ندرك مقدار أهمية السياق، حين نحرم منه مثلاً، وحين تنتقل إلينا المقاصد عبر وسيط، وفي حالة معزولة عن السياق، الذي يصبح مبهماً، عامة، ودون قيمة وعلي عكس ذلك فاللغة العلمية واللغة القانونية، أجهدتا نفسيهما علي الدوام في إيجاد مقاصدهما. التي هي عبارة عن نصوص مكتوبة في الغالب . لتمرير كل الأخبار السياقية الضرورية للفهم الجيد عما يعبر عنه.

5-3- الإنجاز: ونقصد بالإنجاز طبقاً للمعني الأصلي للكلمة، إنجاز الفعل في السياق إما بمحاثة لقدرات المتكلمين; (أي معرفتهم وإلمامهم بالقواعد) وإما يتوجب إدماج التمرس اللساني بمفهوم أكثر تفهماً كالقدرة التواصلية.¹

¹ فرانسواز أرمينكو، مقارنة تداولية، ص4.

يتبادر إلي أذهاننا من خلال هذا مدي أهمية كل من الفعل، الانجاز، السياق في البحث التداولي والتي لا يمكن الاستغناء أو التخلي عنها كونها الركيزة الأساسية التي تتبع وتتبع منها التداولية.

6- مباحث التداولية:

يجمع أغلب الباحثين على أن التداولية تستند على مجموعة من المحاور والمباحث من أجل دراستها للغة والخطاب، وهي:

6-1- الإشارات:

هي عمود من أعمدة التداولية فهي عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ ويقتضي متلفظا يتوجه بخطابه إلي مخاطب ضمن إطار زمني ومكاني محدد. كما إنها تتسم بكونها عاجزة عن الدلالة إلا إذا كانت علي صلة بموضوع تمثله سواء كان هذا الموضوع واقعيًا أو خياليًا. فهي تتوحي التعيين والتحديد المتعلق بالأشخاص والأشياء والأحداث والأنشطة التي نتحدث إليها ونحيل إليها في علاقتها بالسياق الزمني والمكاني المتولد من فعل التلفظ.¹

تقسم الإشارات إلي :

6-1-1- إشارات شخصية: يقصد بها تلك الضمائر الشخصية الدالة علي المتكلم وحده مثل : أنا أو المتكلم ومعه غيره مثل نحن، والضمائر الدالة علي المخاطب مفردا أو مثني أو جمع، مذكرا أو مؤنثا، وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما علي السياق الذي تُستخدم فيه، وليس من شك في أن الضمير أنا وأنت ونحوهما له دلالة في ذاته علي المتكلم أو المخاطب²

¹ جواد ختام، التداولية أصولها و اتجاهاتها، دار كنوز المعرفة و النشر و التوزيع، عمان، وسط البلد، ط1، 1437-

2016، ص 76.

² محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص17-18.

6-1-2- إشارات زمانية: التي تحيل إلي زمن أحداث الخطاب والزمن نوعان: زمن نحوي ونقصد به زمن الجملة أما الكوني الخارجي الظروف التي تحيل إلي العالم الخارجي مثل الظروف وأسماء الوقت والزمان التي يكون تقديرها في العالم الخارجي.

6-1-3- إشارات مكانية: وهي التي تحيل إلي المواضع التي تفاعل معها الخطاب ويمثل المكان بعدا أساسيا يحس به الإنسان ويؤثر في كينونته وإحساسه بالمكان أسبق من إحساسه بالزمان غير أن إدراكه للمكان يقترن بأبعاد حسية مادية ويقترن الزمان بأبعاد ذهنية شعورية، والإحالة الظرفية يعين دلالتها الواقع. ومن الإشارات المكانية: هذا، ذاك، والظروف: هنا، هنالك، فوق، تحت ... وأسماء الأماكن.¹

6-1-4- إشارات اجتماعية: وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلي العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودة.²

6-2- الافتراض المسبق:

يؤسس المتكلم حديثه وتواصله مع المتلقي علي هذا الافتراض المسبق، والذي يتمثل في المعلومات المشتركة بين المتكلم والمتلقي فالمتكلم يتحدث مع المخاطب علي أساس ما يفترض مسبقا أنه معروف عنده ; فإذا قال له: أغلق الباب، فهو يفترض سلفا أن يكون الباب مفتوح، وأنه يوجد سبب لإغلاقه، وأن المتكلم في منزلة تسمح له بإصدار أوامر، وأن المخاطب قادر علي إغلاقه... وغيرها من الافتراضات المسبقة التي لا يصرح المتكلم بها، وكل هذا مرتبط بسياق الحال وعلاقة المتكلم بالمخاطب.

هذا وقد ميز الباحثون منذ سبعينات القرن العشرين بين نوعين من الافتراض المسبق: الافتراض الأول هو الافتراض الدلالي والمنطقي الذي يكون مشروطا بالصدق بين قضيتين، فإذا كانت القضية (أ) صادقة كان من الواجب أن تكون القضية (ب) صادقة والافتراض

¹ محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، ص 85.

² محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 18.

الثاني هو الافتراض التداولي السابق الذي لا دخل له بالصدق أو الكذب والقضية الأساسية يمكن أن تنفذ دون أن يؤثر ذلك علي الافتراض السابق¹.

6-3- الاستلزام الحواري:

تنتطق هذه النظرية عند (غرايس) حيث يري أن اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل علي معني غير معناها القضوي ويوضح ذلك بمثال:

الأستاذ الأول: هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة ؟
الأستاذ الثاني: إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

من خلال المثالين السابقين يلاحظ (غرايس) أن إجابة الأستاذ الثاني تدل علي معنيين أحدهما حرفي وآخر مستلزم؛ الحرفي أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين وألاستلزامي أن الطالب ليس مستعد لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة، وقد أطلق علي هذه الظاهرة بالاستلزام الحواري ومن أجل وصف هذه الظاهرة اعتمد علي نظريته المحادثة التي تقوم علي أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) و بمسلمات حوارية.

ينهض هذا المبدأ المشار إليه سابقا (مبدأ التعاون) علي أربع مسلمات تتمثل في:²

6-3-1 قاعدة الكم Maxim of Quntity: وترتبط بكمية المعلومات اللازم توفرها
اجعل مساهمتك تتضمن أخبار كافية.

6-3-2 قاعدة الكيفية Maxie of Quality: وترتبط بقاعدة أساسية هي: اجعل مساهمتك صادقة، والتي تتفرغ هي كذا لك إلي: لا تصرح بما تعتقد أنه كاذب ولا تصرح إلا بما تستطيع البرهنة عليه.

6-3-3 قاعدة الملائمة Maxim of Relevance أو العلاقة Relation: اجعل مساهمتك ملائمة.

¹ علية آيت بوجمعة، التداولية : دراسة في المجالات و الفروع، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص 168.

² مسعود صحراوي، التداولية، ص 32.

6-3-4- قاعدة الجهة Maxim of Mener: وهي مسلمة تختلف عن المسلمات السابقة في كونها لا تُعني بما قيل وإنما بكيفية التعبير عما تتوي التعبير عنه، وهي ترتبط بقاعدة جوهرية هي: كُن واضحاً. وتتفرغ هذه المسلمة إلى:

ليكن تدخلك واضحاً . ليكن تدخلك موجزاً . اجتنب الغموض . اجتنب الالتباس .

وتتمثل الغاية من هذه المسلمات حسب (غرايس) في ضمان فاعلية عالية للتبادل الكلامي، دون أن يلغي ذلك إمكانية الحديث عن غايات أخرى كأن يسعى المتكلم للتأثير على الآخرين أو الاستئثار باهتمامهم.¹

6-4-الحجاج:

يتمثل مفهوم الحجاج في كونه يقدم مجموعة من الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة وهو يتمثل كذلك في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب وبعبارة أخرى هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها.²

ويعرف كذلك بأنه درس لتقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم وأما الغاية منه فهي أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان.

وإن أنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوي درجتها لدي السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق علي الأقل في جعل السامعين مهيبين لذلك العمل في اللحظة المناسبة.³

6-5-أفعال الكلام:

عرفت هذه النظرية بكونها النواة المركزية والبنية الأساسية التي تعتمد عليها التداولية، وكذا تلك المرحلة المهمة التي بلغت من النضج والاكتمال للمنهج التداولي.

¹ جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 101-102.

² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط 1، 2006، ص 17-18.

³ عبد الله صولة، نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، مسك لياني للنشر، تونس، ط 1، 2011، ص 13.

فقد تأسست هذه النظرية وظهرت علي يد الفيلسوف الانجليزي أوستن، حيث أنه أكد علي أن كل ملفوظ يحمل ويخفي بعدا كلاميا، فارتكزت نظريته علي مجموعة من الأفعال تتمثل في: (أفعال الكلام، أفعال القرارات، أفعال التعهد، أفعال السلوك، أفعال الإيضاح..).

بعدها أتى (سيرل) الذي قام بإضافة وتقديم منهج إجرائي مكتمل يوضح عناصر تحليل الخطاب والنص وذلك بتطويره لنظرية أفعال الكلام لأوستن والتي ارتكزت علي: الإشاريات، الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية والمكونة من: الإخباريات، توجيهات، التزاميات، تعبيريات وإعلانيات¹.

ثانياً: تحديد مفاهيمي للخطاب الإشاري

1- تعريف الخطاب:

لقد شهد مصطلح الخطاب منذ القدم بتشابهه وخلطه مع مصطلح النص كون أن هذين المصطلحين يعتبران من أهم الإشكاليات التي لاقت صعوبة لدي النقاد والدارسين في إعطاء مفهوم وتعريف جامع ومضبوط لكل من المصطلحين، وذلك لتعدد الآراء والأفكار الموجهة لهما. من خلال هذا وبمحاولة منا سنقوم بجمع بعض المفاهيم والدلالات التي يحملها المصطلحين وذلك من خلال: تعريف الخطاب لغة واصطلاحاً وتعرف علي أنماطه، ثم التعريف بالنص لغة واصطلاحاً والتعرف كذلك علي أنواعه ثم نقوم بعدها بطرح ذلك الاختلاف والتمايز الموجود بينهما.

1-1 - الخطاب لغة:

حظي مصطلح الخطاب باهتمام كبير من طرف الدارسين مما أدى إلي تعدد مفاهيمه باختلاف زوايا الرؤى وكذا التخصصات، الأمر الذي صعب من محاولة ضبطه بتعريف واحد مضبوط، وفي محاولة منا لطرح وانتقاء بعض من مفاهيمه وتعريفاته في المعاجم والكتب لدي بعض من الدارسين:

¹ مقال عبد الحكيم سحاليه، التداولية امتداد شرعي للسيمائية، الملتقي الدولي الخامس (السيمياء و النص الأدبي)، المركز الجامعي، الطارف، 427-428.

إن أول تعريف لغوي سنشرع فيه هو كتاب الله الكريم وهو "القران" فقد ورد مصطلح الخطاب في المصحف الشريف ثلاث مرات حسب الترتيب وذلك في:
قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَعَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابَ﴾ [سورة ص . الآية 20 . ص 454].

والمقصود هنا بالخطاب حسب ابن كثير هو الفصل في الكلام والحكم.
وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [سورة ص . آية 23 . ص 454].¹

وحسب ابن كثير يقصد بالخطاب في هذه الآية الكريمة: أن قوله عزني في الخطاب أي غلبني يقال: عزيز: إذ قهر وغلب والخطاب هو الكلام الوجيه الذي يفصل في النزاع.
أما الآية الثالثة فيقول تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَانُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبا آية 37 . ص 583].²

وتفسر لفظة الخطاب في هذه الآية بأنه لا أحد يقدر علي ابتداء مخاطبته إلا بإذنه ولفظ الخطاب هنا هو ذلك الكلام الموجه لله عز وجل.

يعود مصطلح الخطاب من الفعل خَطَبَ والذي يحمل دلالة حسب مقاييس اللغة في أن: الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين يقال خَاطَبَهُ، يخاطبه خطاباً والخطبة من ذلك وفي النكاح الطلب أن يزوج³، قال تعالى:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ والخطبة الكلام المخطوب.

من خلال هذه المعاني السابقة يظهر لنا أن جل هذه المعاني والتي رغم اختلافها البسيط فيما تحمله من معاني حسب السياق الموجودة فيه إلا أنها تتبادل نفس الميزة بين

¹ إسماعيل ابن كثير، تفسير القران الكريم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420 . 2000، ص 1603.

² نفس المرجع ص 1955 .

³ أبي الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تر: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ص 198 .

المفاهيم وهي دلالة المشاركة بين أطراف عملية التخاطب والزام وجودها وتتمثل هذه الأطراف في: المخاطب والمخاطب والرسالة.

1-2- الخطاب اصطلاحاً:

يحمل الخطاب عند الدارسين عدة معاني حسب التخصص والميدان المدروس فيه وكذا الغرض فنجد يعرف بأنه:

" كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين البنية الداخلية والظروف المقامية".¹

ويشير (ديك) أيضاً بأنه لا يتواصل مستعملو اللغة الطبيعية عن طريق جمل منعزلة بل أنهم يكونون من هذه الجمل قطعاً أكبر وأعقد يمكن أن نطلق عليها اللفظ العام الخطاب. ويقول كذلك (منغو) : إن الخطاب عنده ليس تلك البنية المعلقة بل يتعدي هذه البنية إلى دراسة السياق الذي قيل فيه، إذ أن الخطاب ليس درس لسانی محض.²

وتطلق مجلة منتديات الإكليل الإبداع وتميز في التزام تعريفين لكل من الباحثين اللغويين (هاريس) و(بنفست) للخطاب:

يعرفه هاريس: بأنه وحدة لغوية ينتجها الباعث (المتكلم) تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة.

ويعرفه (بنفست): الذي يعتبر تعريفه قريب تقريبا لتعريف (هاريس) بكونه:

وحدة لغوية تفوق الجملة تولد من لغة اجتماعية وكذا هو أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع، وعند الأول نية التأثير في الآخر بطريقة ما.³

2- أنماط الخطابات:

يختلف مضمون الرسالة من خطاب لآخر، حيث يقع التمييز بين سائر الخطابات، فهناك الخطاب الأدبي الذي يتميز عن باقي الخطابات في نقاط كثيرة، باعتباره نصاً مغلقاً؛

¹ أحمد المتوكل، بنية الخطاب من الجملة إلى الخطاب، دار الأمان، زقة المامونية، الرباط، 2001، ص 16.

² منغو دومنيك، تر: محمد يحياتن، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، منشورات الاختلاف،

العاصمة، الجزائر، ط1، 1428-2008، ص38.

³ محاضرات د: وردة معلم، محاضرات في مقياس تحليل الخطاب، مقدمة لسنة أولى ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم

اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 45، 2015-2016، ص18-19.

ذلك أن منتج الخطاب، مبدعه، من معدن آخر أفسح لذاته تعاملًا مع الكتابة واللغة، لا يشبه في عمقه التعاملات السائدة والمتعارف عليها.

وداخل الخطاب الأدبي يظهر التعارض بين الشعر والنثر، وهو تعارض مليء بالإثارة كون الشعر بحث عن التشاكل بين التعبير والمضمون وثمة تعارض آخر داخل الخطاب الأدبي النثري مثل التعارض بين الرواية والقصة: التعارض بين الخطاب الأدبي الطويل والخطاب الأدبي القصير... وخلافاً للخطاب الأدبي تتموقع باقي الخطابات الأخرى نحو: السياسي، العلمي، التاريخي، الفلسفي، القانوني.¹

يمكن إرجاع الخطابات إلى عدد معين من الأنماط وقد يكون هذا التتميط على أساس المعايير التالية: غرض الخطاب، نوع المشاركة فيه، طريقة المشاركة، نوع قناة تمريره، وجهه.

2-1- من حيث الغرض التواصلي: تصنف الخطابات إلى خطاب سردي وخطاب وصفي وخطاب حجاجي وخطاب تعليمي وترفيهي...

2-2- من حيث نوع المشاركة يمكن أن يكون الخطاب حوارًا ثنائيًا أو حوارًا اجتماعيًا أو مجرد (مولولوج) أي خطاب لا يوجهه المتكلم لغير نفسه وقد يرد الصنف الثالث إلى الصنف الأول على اعتبار أنه حوار إلا أنه منعكس، حوار قائم بنفس الذات.

2-3- من طرق المشاركة في خطاب: إما أن تكون المشاركة مباشرة (بين متخاطبين متواجهين أثناء عملية التخاطب) وغير مباشر (كأن يكون الخطاب مكتوبًا) أو شبه مباشر (عن طريق الهاتف أو عن طريق البث الإذاعي أو التلفزيوني).²

2-4- من حيث نوع قناة تمريره: يمكن أن يكون الخطاب شفويًا أو مكتوبًا.

¹ محاضرات أمينة رقيق، محاضرات في لسانيات الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي، ص3.

² أحمد المتوكل، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص20-21.

2-5- من حيث الوجه **Modality**: فإن الخطاب يمكن أن يكون حسب رأي بنفست خطابا موضوعيا **Recit** خاليا من أي تدخل من لدن المتكلم حيث يكون مصدر الخطاب مجرد كائن من ورق علي حد تعبير بارت 1970 أو خطابا ذاتيا **Discour** مصدره المتكلم بوصفه كائنا حيا يضمن الخطاب انفعالاته وعواطفه ووجهات نظره.¹

يشير أحمد المتوكل بعد طرحه لمعايير الخطاب التي من خلاله تتكون أنماطه إلى مجموعة من النقاط تتمثل مثلا في أنه لا يمكن الاكتفاء بهذه المعايير فقط وإمكانية تواجد معايير أخرى وإمكانية تواجد أكثر من نمط في الخطاب الواحد، وأن أهمية الخطاب تكمن في كونه يحدد خصائص الخطاب الداخلية ... وغيرها من النقاط التي يجب الأخذ بها في الخطاب.

3- تعريف النص:

يعتبر مصطلح النص أحد أهم المصطلحات النقدية التي أثارت الجدل والنقاش بين الدارسين والباحثين وذلك لأهميتها الكبيرة، فنجد أنه لا يكاد أي مجال من المجالات العلمية يخلو منها النص إلا أن الفرق بين هذه النصوص يكمن في اختلاف وجهات النظر وطريقة العمل وأشكال المقاربة فهي تختلف من مجال لآخر ومن شخص لشخص ومن نص لنص، الأمر الذي مهد وساعد في تعدد وتطور المفهوم الدلالي للنص مما أدى أيضا إلى طريق مؤدي نحو الغموض والإبهام في بعض الأوقات، من خلال هذا سنقوم بالبحث عن تلك الدلالة اللغوية والاصطلاحية التي يحملها النص.

3-1- النص لغة:

مما هو معروف أن كلمة نص مشتقة من الفعل نصص ومنه فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: النص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً: رفعه، وكل ما أظهر فقد نص وأصل النص أقصى الشيء وغايته². وفي مقاييس اللغة: النون والصاد أصل صحيح

¹ أحمد المتوكل، المرجع السابق، ص21.

² ابن منظور، لسان العرب ط1، مج4، ص98.

يدل علي الرفع وارتفاع وانتهاء في الشيء....ونصت الرجل: استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما به، وهو القياس لأنك تبتغي بلوغ النهاية.¹

وفي تاج العروس: أصل النص: رفع الشيء وإظهاره فهو من الرفع والظهور ومنه المنصة..... نص الشيء (ينصه) نصاً: حَرَكَهُ.²

توحي هذه الدلالات الحاملة لمعني النص من خلال المعاجم العربية إلي تعدد معني لفظة النص في اللغة العربية فهي تحمل معني الغاية والمنتهي والتحريك... وغيرها من الدلالات إلا أن المعني الأصلي والحقيقي لها هو الرفع والظهور.

3-2- النص اصطلاحاً:

تعددت مفاهيم وتعريفات مصطلح النص وذلك لاختلاف مجالات وتخصصات ودراسات كل باحث حتى بالنسبة للباحث الواحد. الأمر الذي ساعد في اتساع وصعوبة ثباته علي مفهوم واحد مستقر فنجد يعرف بكونه:

«وحدة بنيوية من وحدات الخطاب تحتل أعلي مرتبة في سلمية التعقيد باعتبارها مجموعة جمل» هذا علي حد قول الدكتور أحمد المتوكل.³

أما عند الغربيين فيعرفه (تودوروف) بأنه: إنتاج لغوي منغلق علي ذاته ومستقل بدلالاته وقد يكون جملة أو كتاباً بأكمله. وعند العالم اللساني (هلمسليف) يعني الملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب.⁴

وكذلك يعرف النص عند السوسولوجين وذلك عند رأي الباحثين (هاليداي) و(رقية حسن):

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، ص357.

² المرتضي الزبيدي، تاج العروس، تح: علي هلاي، الكويت، ط1، 2001، باب الصاد، ص178.179.

³ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلي النص)، دار الأمان، زنقة المامونية، الرباط، 2001، ص80.

⁴ محمد عزام، النص الغائب (تجليات النص في الشعر العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص

بأنه وحدة لغوية في طور الاستعمال، وهو لا يتعلق بالجمال وإنما يتحقق بواسطتها، وهما يركزان علي الوحدة والانسجام في النص من خلال الإشارة إلي كونه وحدة دلالية لها ثلاث وظائف هي: الوظيفة التجريبية التي تبرز في مضمون الاستعمال. والوظيفة التواصلية التي تتصل بالبعد الاجتماعي بين الأشخاص لوظائف اللغة التعبيرية، وفيها يتم تحديد زاوية المتكلم ووضعه وأحكامه وتفسيره. والوظيفة النصية التي تتضمن الأصول التي تتركب منها اللغة لإبداع النص كوحدة دلالية.¹

4- أنواع النصوص:

تملك اللغة العربية العديد من النصوص المتنوعة التي يمكن التعرف علي نوعها وصنفها وتحديدده من خلال قراءته واستيعابه وفهمه وتتمثل هذه الأنواع وهي:

4-1- النص السردى: يعرف السرد بأنه الإخبار عن الأحداث ونقلها، باستخدام وسائل التعبير المختلفة مثل اللغة والتصوير مثلاً، أما النص السردى فهو النص القائم علي الوصف والحوار، فيما تعد القصة والرواية، والتاريخ، والخبر الصحفي العابر، والحكاية عن الأمثلة عليه، ويتوافر في النص السردى أمور عدة توجز فيما يلي:

- وحدة الموضوع والحدث.
- تضمين النص المغزى سواء كان بشكل صريح أو ضمني، ويتمثل هذا المغزى بعبارة أخلاقية، أو سياسية أو غيرها.
- احتواءه علي تغييرات وتحولات تشهدها الأحداث التي تقوم بها الشخصيات.
- تتابع الأحداث بشكل زمني أو منطقي بحيث تشكل سلسلة مفهومة.²

¹ محمد عزام، المرجع السابق: ص 16.

² أنواع النصوص في اللغة العربية كتابة ليلي العاجيب - آخر تحديث: 2 أكتوبر 2019

https://mawdoo3.com/%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B9_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B5_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9

4-2- النص الحجاجي: هو نص متماسك ومنتظم في أجزائه مبني تبعا لسياق منهجي، حيث وضع لغاية إقناع المتلقي بقبول أطروحة ما أو رفضها بناءا علي حجج يتضمنها لتدعم هذه الأطروحة تفندها، وقد يأخذ هذا النوع من النصوص أبعادا عدة منها: (البعد الديني والعلمي والتربوي والنقدي)، ويرى في هذا نوع من النصوص أمور لغوية عدة منها:

- استخدام أساليب المقابلة والموازنة والمجادلة.
- اللجوء إلي الأسلوب التقريري.
- اعتماد صيغة المفاضلة .
- انتهاج أسلوب التعليل.
- استخدام أسلوب الاستفهام.
- التأكيد باستخدام جمل خبرية طلبية.

4-3- النص التفسيري: هو نص يقدم فيه الكاتب للمتلقي فكرة ما، أو يفسر له ظاهرة ما اعتمادا علي أدلة وبراهين معينة ومعدة لتفسير هذه القضية مجال الطرح وغالبا ما يستخدم هذا النوع من النصوص في المقالات، كما يوصف بأنه يعتمد أسلوبا تواصليا للوصول إلي المتلقي.

4-4-النص الوصفي: هو أكثر أنواع النصوص استخداما في الكتب المدرسية المقررة، فهو نص بنائي كثير التفاصيل، يحتوي علي موضوع مركزي واحد تتفرع منه مواضيع فرعية أخرى يمكن تمثيلها بشكل هرمي أو فقاعي وتذكر لسرد معلومات واضحة ومنظمة تتعلق في هذا الموضوع ¹.

4-5-النص الإخباري: هو نص يستخدم في النصوص ذات الطابع الاجتماعي، أو السياسي، أو العلمي، أو الفني حيث يعرض فيه الكاتب معلومات المراد إيصالها للقارئ مع مراعاة الحياد وعدم استخدام ضمائر المتكلم أو المخاطب، ومن خصائص هذا النص:

¹ ليلي العاجيب، المرجع السابق.

- الابتعاد عن الرأي الشخصي في طرح القضايا.
- استخدام أدوات الشرح والتفسير مثل: بمعنى، وذلك لأن، وما إلى ذلك من كلمات معتمدة للشرح والتفسير للإجابة علي أسئلة مثل: لماذا؟، كيف؟، أين؟.
- 4-6- النص الإرشادي:** هو النص الإيعازي الذي يتضمن إرشادات وتوجيهات تقدم لإفادة القارئ بما يناقشه النص من مواضيع تهمة وتهم المجتمع، ويكثر هذا النوع من النصوص في نصوص الخطابة الدينية والرسائل الموجهة للمرؤوسين ومنهم تحت الرعاية.
- 4-7- النص الحواري:** هو ذلك النوع من النصوص الذي يهدف إلى توضيح الأمور بين المتحاورين فيما يتعلق بقضية ما، فيقوم كل طرف بتقديم الأدلة والبراهين التي تدعم وجهة نظره فيما يعبر عن مشاعره ورأيه، ويذكر من خصائص هذا النص ما يأتي:
- تواتر أسماء الأعلام فيه.
- استخدام الجمل الحوارية الواضحة في مفرداتها.¹
- توظيف ضمائر المخاطب بكثرة استخداماً أساليب التعجب، والاستفهام، الأمر.
- 4-8- النص المعلوماتي:** هو النص الذي يقدم فيه الكاتب للمتلقى معلومات بخصوص موضوع معين واستخدام مصطلحات خاصة بهذا الموضوع، بحيث يبدأ النص بجمل افتتاحية شاملة يليها وصف أكثر تفصيلاً، قد تقدم فيه الإحصائيات والأرقام والدراسات بأسلوب يميل إلى التعميم والموضوعية والوضوح.²
- بعد التعرف علي مفهوم كل من المصطلحين (الخطاب والنص) والتعرف علي أنماط وأنواع وخصائص كل منهما سنقوم بعدها بطرح الفرق الموجود بينهما لإزالة بعض من الغموض واللبس الذي يواجهه أغلب الدارسين والباحثين وذلك علي النحو التالي:
- 5- الفرق بين النص والخطاب وفق المنظور التداولي:**

¹ ليلي العجايب، المرجع السابق.

² المرجع نفسه.

لقد سبق الاتفاق علي أنه يوجد هناك خلط لدي الدارسين والباحثين بين مفهوم مصطلح الخطاب ومصطلح النص وعليه فقد انقسم الباحثون إلي فئتين كان لكل فئة موقف خاص بها ويتضح ذلك علي النحو الآتي:

5-1- تمايز النص عن الخطاب:

ميزت المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب بين مصطلحي الخطاب والنص من خلال الاهتمام بالخطابات المختلفة في إطار النظرة التواصلية علي العموم، ومن ضمنها السيميائية. ويتجسد ذلك في أعمال (غريماس) الذي يميز بين النص والخطاب انطلاقاً من صيغة التعبير، التي تحدد ماهيته باعتباره لفظاً أي نتاجاً. أي تحدد ماهية الخطاب باعتباره إجراء وتلفظ يخول للنص أن يتحول إلي خطاب. ومن ثمة يصبح النص مادة خامة.¹

كما يجمع "محمد العبد" أهم الفروق الأولية بين النص والخطاب التي انعقد الإجماع عليها نظرياً. كما يقول: « في أن النص بنية مترابطة تكون وحدة دلالية، في حين أن الخطاب ينبغي النظر إليه علي أنه موقف ينبغي للغة أن تحاول العمل علي مطابقته؛ وعلي ذلك فإن الخطاب أوسع من النص، فالخطاب ليس بنية بالضرورة، ثم إن غلبة النص علي المكتوب، والخطاب علي الملفوظ ليس حاسماً؛ فأحدهما يالتبس بالآخر علي سبيل التوسع».²

5-2- ترادف النص والخطاب:

يرتبط الخطاب بعلاقته بالواقع أو الوضع السوسولوجي التواصلية، وكذا العلاقات الداخلية التي تحدد المعاني المتضمنة في بنية النص، ومنه «يؤكد (راستي) علي وجوب وصل وجود النص بوجود الملفوظ، إذا لا يمكن تصور أن يكون النص سابقاً من حيث الوجود علي الملفوظ ويؤكد علي أن السياق هو النص كله لكونه محدد له، فهو مكون من مكوناته سواء تعلق الأمر بالمضمون أو التعبير»

¹ أمينة رقيق، محاضرات في لسانيات الخطاب، ص2.

² نفس المرجع ص ن.

وهذه النظرة تجعل النص يقترب بل يتماهى مع مفهوم الخطاب في التصورات التي تدرج بعد السياق التواصلي، بحيث يصبح المفهوم تداوليين، ويصعب التفريق بينهما بحيث يصبح الخطاب أحيانا أعمق من النص، كما عبر عن ذلك (محمد مفتاح)، أو العكس علي رأي سعيد يقطين، وعليه فليس المفهوم هو الفارق بل المجال الذي يستخدمان فيه أو نوع الملفوظ.

مما أدي ببعض الباحثين إلي تقديم مصطلحات أخرى نحو: نمط الخطاب، نوع الخطاب وهذا مما جعلهم يحددون مجال النص في مجال الأدب والخطاب في مجال اللسانيات.¹

الخلاصة من هذا أنه كان ولا زال صيت كل من المصطلحين الخطاب والنص ذو اهتمام كبير لدي الدارسين اعتبارا من نقطة التحول من الاهتمام بالجملة إلي النص، ووفق المنظور التداولي فإن كل ما يؤدي إلي تواصل بشري فهو خطاب سواء أ جاء هذا الخطاب في شكل نص أم جملة أم كلمة أم حرف أم صوت أم رسم أم إشارة أم غير ذلك.

6- تعريف الخطاب الإشاري:

6-1- الإشارة لغة:

تعتبر الإشارة مصدرا لل فعل أشار وذلك من مادة [شور]. فقد جاء في معجم لسان العرب لابن منظور عدة معاني لمادة [شور]: «وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَمْرٍ كَذَا: أَمَرَهُ بِهِ، وَأَشَارَ الرَّجُلُ شَيْراً إِشَارَةً: إِذَا أَوْمَأَ بِيَدِهِ وَيُقَالُ: شَوَّرْتُ إِلَيْهِ بِيَدِي، وَأَشَرْتُ إِلَيْهِ: لَوَحْتُ إِلَيْهِ وَأَلَحْتُ أَيْضاً.... وَأَشَارَ إِذْ مَا وَجَّهَ الرَّأْيَ»²

وفي مقاييس اللغة: «(شور) الشين والواو والراء أصلان مطردان الأول منهما إبداء الشيء وإظهاره وعرضه والآخر أخذ الشيء»³.

¹ أمينة رقيق، المرجع السابق، ن ص .

² ابن منظور، لسان العرب، ص 431 .

³ ابن فارس، مقاييس اللغة، ص 226 .

6-2- الإشارة اصطلاحاً:

تعتبر الإشارة أحد أهم طرق التواصل البليغة التي يعتمد عليها في تبليغ الرسالة والتي تحمل دلالات كثيرة مثل التعبير عن مشاعر وأحاسيس أو النهي والمنع عن أمر معين أو الإشارة لدلالات أخرى يريد الباعث إيصالها للمتلقي عبر أنواع مختلفة من الإشارات مثل: الإيماءات بلامح الوجه التي تعبر عن العديد من الدلالات مثل الغضب، الخوف، الخجل، مرض... وكذا الإشارات الجسدية باليدين والأصابع أو الرجلين وغيرها....

من خلال هذا التمهيد تظهر أهمية الإشارة والتي سنتطرق إلي تعريف مفصل لها علي النحو التالي:

يعرفها نعمان بوقره: «بأنها تدل علي أي شيء يتعين من جهة بموضوع ويشير من جهة أخرى لفكرة معينة في الذهن، ويوجد فيها القصد في التواصل وهي حدث أو شيء يشير إلي حدث أو شيء آخر»¹

وهي كذلك «واقعة ذات سلوك سيميولوجي، ترتبط طبيعياً بما تحيل عليه بعلاقة الملازمة، ولكن في غياب ما تثير إليه، أو تلازمه، وإلا بطل مفعولها، ومن أمثلة ذلك الإشارة بالبصمات المعتمدة في تحريات الشرطة والتي تقوم بدور الإحالة علي السارق، وتحدد هويته»².

ويري (ارنست كاسيرر) أن هناك فرق بين الرمز والإشارة، إذ يعتبر الإشارة جزءاً من عالم الوجود المادي، في حين أنه يعتبر الرمز جزءاً من عالم المعني الإنساني، والإشارة مرتبطة بالشيء الذي تشير إليه علي نحو ثابت، كل إشارة واحدة ملموسة تشير إلي شيء واحد معين.

¹ نعمان بوقره، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص86.

² د: نايبة سيفون، محاضرات في السيمولوجيا، جامعة محمد بوضياف، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال، المسيلة، 2015-2016، ص18.

والإشارة تتحصر في إطار محدود لا يتغير، إذ يعبر بها الفهم دون أن يلحظها باعتبارها خالية من المعني.... وهو يعتبر الرمز أوسع من الإشارة في التعبير والإيحاء¹. ويشير إليها الجاحظ كذلك بتصنيفه لأنواع الدلالات علي المعاني عنده «...ومن جهة الدلالة علي المعني باللفظ وغير اللفظ، تضم أصناف الدلالات. فيما يحصيه تحديدا . خمسة أشياء:بقوله: «وجميع أصناف الدلالات علي معاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة والنصبة هي الحالة الدالة...»².

6-3- مفهوم الخطاب الإشاري:

من خلال ما سبق يمكننا وضع تعريف بسيط للخطاب الإشاري على النحو الآتي: هو كل فعل تواصل ي تلازمه إشارة حركية معينة، مهما كانت هذه الإشارة (بأعضاء الجسم، بتلون الوجه والبدن، بما يصدر عن البدن كالدموع، بنوعية الحركة كالجلوس والوقوف والاعوجاج والاستقامة، بالتوصل بواسطة وسيلة أو أداة ترافق الحركة كالعصا، إلى غير ذلك)، ومهما كان الفعل التواصل الأصلي (باللفظ المنطوق، بالحرف المكتوب، بالصورة، بالموسيقى، بدونها جميعاً، إلى غير ذلك).

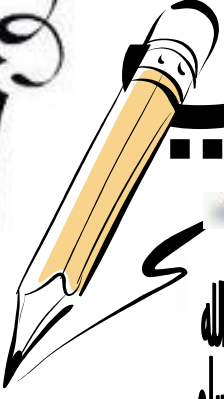
¹محاضرات كعوان محمد، الرمز و العلامة و الإشارة المفاهيم و المجالات، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، ص 10.

²محمد العبد، العبارة و الإشارة دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، ط2، 1428-2002،

خلاصة:

من خلال ما سبق يتضح أن للخطاب أهمية كبيرة في التواصل والتبليغ إلا أن طرق التبليغ تختلف من طريقة لأخرى فهي لا تقف فقط عند حد الكلام الملفوظ فقط بل تتعدى ذلك ليشمل الكلام غير ملفوظ مثل الكلام بلغة الخطاب الإشاري الذي هو أحد الطرق الناجعة في تبليغ المعاني من مشاعر وأحاسيس وانفعالات وردود أفعال والتي تتشكل عبر حركات وإيماءات مثل تعبير الوجه (الاحمرار الذي يدل على الغضب أو الخجل أو تكشير الحاجبين تدل على الانزعاج من أمر أو الإشارات باليد أو الأصابع أو الإيماء بالرأس للدلالة على القبول أو الرفض مع) وعلى الشخص المعتمد على الإشارة مراعاة ثقافة المجتمع المتواجد به لأنها تختلف دلالتها من ثقافة ومجتمع لآخر.

الفصل الثاني



الأبعاد التداولية للخطاب الإشاري عند الرسول صلى الله عليه وسلم



أولاً: الإشارة بهيئة الجلوس والمشي

ثانياً: الإشارة بملامح الوجه

ثالثاً: الإشارة باللسان

رابعاً: الإشارة باليد

خامساً: الإشارة بالأصابع

تمهيد:

بعث الرسول إلى الأمة لتبليغ الرسالة السماوية، والدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، فكان عليه أن يستعمل كل الطرق لإيصال تلك الرسالة بالطريقة الأمثل والأنفع والأكثر إقناعاً، فنجد الجاحظ يقول في هذا الصدد: "والغاية التي تجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والافهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"¹، فاستعمل أساليب متعددة حسب ما يقتضيه الموقف من تبليغ وشرح وتفسير وتعليل وتوضيح والفصل في الكثير من المواقف التي كان لا بد من حسم الأمور فيها. فلم يدع طريقاً للتبيين إلا استدلها ولا كيفية للتوضيح إلا أثارنا بها، فتجاوز الحوار اللفظي والكلام العادي إلى المعاني والإشارات والحركات الجسمية والانفعالات والحوار غير اللفظي، كل ذلك لتبليغ الرسالة بأدق تفاصيلها ولتمس كل الجوارح في كل جوانبها دون إنقاص من دلالتها أو معانيها، يقول محمد العبد: "تنوعت في روايات الحديث النبوي الشريف حركات الجسم وإيماءات اليد ونحوها تنوعاً كبيراً. وقد تفاوتت أنواع تلك الحركات، والإيماءات قلة وكثرة. وهي تبين في مجملها أن الرسول الكريم كان يرى في حالات بعينها ضرورة أن تكون العبارة مقرونة بالإشارة، للدلالة بوضوح عن المراد، وحتى يدرأ عنهم الالتباس."² فنجد أنه يشير هنا وهناك، ويصف لنا حيناً ويفسر حيناً آخر، وقد نرى جواب سؤال ما من ملاح وجهه، فيستدير وجهه تبشيراً، ويرى الاكراه والغضب استنكاراً. وقد يغير من هيئة جلوسه أو اتكائه أو سرعة مشيه كل ذلك للدلالة على شيء ما، ولا شك في أن يكون عظيماً. وفي هذا الصدد يقول مهدي أسعد عرار: "إن القارئ لحديث رسول الله يرد على أحاديث نبوية شريفة فيها حركات جسدية ملمحاً حيناً، ومُصرحاً أحياناً أخرى بدلالات، بل قد تقوم تلك الحركات والإيماءات مقام كلمة، أو كلمات، أو جمل وقد تكون من الروافد المعززة للكلام المنطوق، وقد تكون في سياق رابع سبيلاً من سبل

¹ الجاحظ، أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1990، ج1، ص76.

² محمد العبد، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، ط1، 2007، ص177.

تجلية المعنى أو تمثيله.¹ ولمحاولة استنباط ذلك من خلال الأحاديث اعتمدنا على بعض أحاديث صحيح البخاري المتضمنة للإشارة والتي تخدم بحثنا هذا، لذا وجب علينا التعريف بصاحبه بإيجاز.

ترجمة الإمام البخاري (194-256هـ): هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة بن بزْزِيَّة، وقيل: ابن الأحنف الجعفي مولاهم، أبو عبد الله بن أبي الحسن البخاري الحافظ، صاحب (الصحيح).²

رحل في طلب الحديث إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخرسان والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز، وبالشام، وبمصر.³

قال بكر بن منير: سمعت أبا الحسن بن الحسين البزار ببخارى يقول: رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم شيخاً نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير، ولد بالجمعة بعد صلاة الجمعة، لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومئة، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومئتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً.⁴

فما هي اهم الإشارات الجسدية التي كان يعبر بها الرسول الكريم مرافقة لخطابه الشفهي؟ وكذلك الأدوات المادية الرديفة للخطاب الاشاري الجسدي؟ وماهي ابعادها التداولية؟ سنناقش في هذا الفصل أهم هذه الأبعاد التداولية كالقصدية والإشاريات والحجاج...

¹ مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص201.

² أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط1، 1424هـ - 2003م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ص أ.

³ المرجع نفسه ص أ.

⁴ المرجع نفسه ص أ.

أولاً: الإشارة بهيئة الجلوس والمشي

- "حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ قَالَ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعِشِيِّ قَالَ: ابْنُ سِيرِينَ سَمَّاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَكِنْ نَسِيتُ أَنَا، قَالَ: فَصَلَّى بِنَا رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضَبَانُ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى وَخَرَجَتْ السَّرْعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا: قَصُرَتِ الصَّلَاةُ، وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُنْسِيتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: لَمْ أُنْسَ وَلَمْ تَقْصُرْ فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطُولَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطُولَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ فَرُبَّمَا سَأَلُوهُ ثُمَّ سَلَّمَ فَيَقُولُ نَبُتْتُ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ: ثُمَّ سَلَّمَ" أخرجه البخاري تحت رقم (482).

إن المتصفح لهذا الحديث والباحث عن الإشارة فيه قد ينصدم أمام الكم الهائل الذي يحمله هذا الوصف الدقيق لرسول الله والإشارات الصادرة منه في آن واحد، ولكن بعد الاطلاع المتأنى لها يتضح أن كل الإشارات ما هي إلا وصف لحالة الرسول عن هيئته بعد الفراغ من صلاته وهو في حيرة وقلق، وقد عبر الراوي عنها ب: (اتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضَبَانُ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى).

ويمكن توضيح ارتباط هذه الإشارة بالمعالم التداولية فيما يلي:

1- القصدية: إن الراوي في وصفه للرسول على تلك الهيئة وبعد الفراغ من الصلاة أمران متناقضان، لأن الفراغ من الصلاة لابد أن يظهر على محياه الارتياح، لذا فإن هيئة الرسول تدل على أن أمر مريب قد حدث، فكما وصفه محمد عثيمين في شرحه للحديث، " هذا أمر مرعب مزعج، إذ كيف يكون النبي بعد انتهاء صلاته التي هي قرة عينه على

هذا الوضع؟!"¹ لكنه يعود ليفسر لنا هذا الأمر الذي جعل من الرسول في تلك الهيئة، وهو نسيانا أو جهلا حصل للنفس انقباض، فقال: "لكن هذه من نعمة الله على العبد أنه إذا أخل بشيء من العبادة-ولو نسيانا أو جهلا-حصل للنفس انقباض، لأن النفس قد اعتادت أن تأتي بالعبادة كاملة"² ثم يعود مرة أخرى يوضح سبب ذلك، فيقول: "وهذا الانقباض سيجعل الانسان يفكر في سببه، حتى يتبين له الخطأ"³، فالرسول في تلك الهيئة في حيرة من أمره، يحاول إدراك الخلل ولم يعرف، فسبب له قلقا وغضبا في إحداث خلل في الصلاة لم يستطع تبيّنه.

2- الإشارات:

2-1- إشارات مكانية: اضطر الراوي لذكر المكان ليوضح لنا أن الصلاة كانت جماعة في المسجد، وأن الإمام كان الرسول في تلك الصلاة، لأن القارئ يجب أن يدرك معالم الحديث فوجب عليه ذكر المكان.

2-2- إشارات شخصية: يتضمن الحديث عددا معتبرا من الإشارات الشخصية، تنوعت بين ضمائر الغائب، وضمير مفرد المتكلم والمخاطب والهاء التي تعود كل مرة ما سبقها. والملاحظ أنه يغلب عليها ضمير المفرد كون الحديث عبارة عن وصف للرسول في صلاته، ولأن الوصف كان دقيقا كما يجب لأن فيها تعليم وإرشاد لكيفية تصحيح النسيان في الصلاة. والحوار الذي جرى بين شخصين (الرسول وذو اليدين) لذا كان الضمير مفردا.

2-3- إشارات زمانية: قد تعذر على الراوي ذكر أي صلاة تلك لكنه ذكر لنا الشيء الذي يهمننا وهو وقت العشي، ولأن كلتا الصلاتين ب 4 ركعات، وهو الأمر الذي يجب علينا معرفته حتى ندرك أن الخلل الحادث هو تقصير. بدل أربع ركعتين.

¹ محمد بن صالح العثيمين، شرح صحيح البخاري، تخريجات: الألباني، تعليقات: ابن باز، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2008، ج 2، ص 390.

² المرجع نفسه، ص 390.

³ المرجع نفسه، ص 390.

2-3- إشارات اجتماعية: يحتوي الحديث على عددا من الإشارات الاجتماعية، فالراوي قد سمى الذين خرجوا مسرعين من الصلاة بتلك الصفة، فقال: (وَخَرَجَتْ السَّرْعَانُ)، فما كان بإمكانه أن يسميهم بغير ذلك، فهم جماعة من المصلين ولكن بهم صفة سرعة الانطلاق بعد الفراغ من الصلاة.

أما ذو اليمين فقد استعمل لفظة: يا رسول الله حينما أراد أن يخبره بتقصيره في الصلاة، ولم يناده بمحمد، وذلك لعظمة شأنه وتقديره واحترامه.

أما الرسول فكان يطلق على الرجل الذي في يديه طول ب "ذو اليمين" وهو تلتف ومداعبة، وهو يظهر العلاقة اللينة بين الرسول وأصحابه، فهو دليل على الصحبة، لأنك لا يمكن أن تداعب شخص ما هكذا لو كان أجنبيا لأنه قد ينزعج من الأمر، ولكن حينما كان في العلاقة تصاحب ورفقة كان الأمر عاديا ومقبولا.

3- الافتراض المسبق: يعلم الراوي للحديث أن المسلم يدرك أن صلاة الظهر والعصر بنفس عدد الركعات لذا حينما غاب عنه الأمر لم يحاول تقصيره لأن المعنى في إصلاحه وفي الحالتين ستكون بنفس الطريقة، كما يعلم المؤمن أن الصلاة راحة له، لذا فإن رؤية الرسول بتلك الحالة بعد الفراغ من صلاته هو أمر معاكس للفطرة، فكانت إشارة على هناك خلل ما يجب إصلاحه.

4- الاستلزام الحوارية: في هذا الحديث نلاحظ نوعين من الحوار، في الأول كان حوار ناقصا يفتقر إلى مبدأ التعاون وقوانين الحوار الناجح، وهو ما فعله السرعان، (وَخَرَجَتْ السَّرْعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا: قَصُرَتِ الصَّلَاةُ)، فمن جهة أنهم لم يتقصوا الحقيقة وحاولوا نشر أخبار فيها شك وغير صحيحة.

ومن جهة أخرى نلاحظ الحوار الذي جرى بين ذو اليمين والرسول والقوم (المصلين في المسجد) وهو كما نلاحظ:

رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَمِينِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْسَيْتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ.
(السؤال المباشر والاستفسار عن أمر لم يعلمه)

قَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ (جواب على قدر السؤال)

فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَمِينِ، (بعد الإجابة على السؤال، يستفسر)

فَقَالُوا: نَعَمْ، (جواب مختصر يحمل كامل المعنى)

فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ (تصحيح الأمر بعد التأكد من الأمر)

إن استفسار ذو اليمين عن الأمر، كان بمثابة تنبيه للرسول ، فلو لم يتجرأ أحد عن سؤاله لتأكد الناس من خبر السرعان، ثم سؤال الرسول باقي القوم كان بمثابة التأكد من الأمر. ثم تصحيحه مباشرة لهو دلالة على أن الحوار ناجع ويحمل كل مبادئ التعاون وقيم الحوار. لأن السؤال كان في وقته فهو يحقق لمبدأ المناسبة، وبطريقة مهذبة وبالكم المطلوب بدون إطالة مملة ولا تقصير مغل بالمعنى، وفي المقابل نجد أن الرسول تعامل بالمثل، فكان الجواب على قدر السؤال محترماً المناسبة التي قيل فيها السؤال، وحاول التأكد بعد الإجابة على ذو اليمين، وبالكم المطلوب أيضاً، وبأسلوب لائق مهذب.

5- أفعال الكلام: يمكن ملاحظة قول السرعان، بقولهم قصرت الصلاة، أنه فعل قول غير مباشر، يتضمن الإشهار، فقد يكون قصد السرعان الإشهار بخبر جديد، كما يمكن أن يكون إثارة البلبلة، في المقابل نلاحظ قول ذو اليمين (: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْسَيْتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟)، فهو فعل متضمن في القول غير مباشر، فهو قول (استفهام) بغية الاستفسار، فعل ناتج عن القول وهو التنبيه. ومنه يمكن تصنيف قول السرعان بالتعبيريات، فقد أطلقوا حكماً على ما رأوا، في حين يصنف قول ذو اليمين بالإخباريات.

وإذا ما أحصينا الأفعال في هذا الحديث فإننا نجدها كالاتي:

صَلَّى (3 مرات)، سَمَّاهَا، نَسِيتُ (مرتين)، سَلَّمَ (4 مرات)، فَقَامَ، فَأَتَاكَ وَضَعَ (مرتين)، شَبَّكَ، خَرَجَ، قَالُوا (مرتين)، قَصُرَتِ (مرتين)، هَابَا، يُكَلِّمَاهُ، يُقَالُ، قَالَ (4 مرات)، أَنْسَيْتَ، لَمْ أَنْسَ، لَمْ تُقْصِرْ، فَتَقَدَّمَ، تَرَكَ، كَبَّرَ (4 مرات)، سَجَدَ (مرتين)، رَفَعَ (مرتين)، سَأَلُوهُ، يَقُولُ، نُبِّئْتُ.

يُلاحظ أن هذا الحديث كثرت فيها الأفعال وتنوعت، وغالبية أزمنتها ماضية، ذلك أن موضوع الحديث سرد لقصة حدث، لكن السرد كان بالتفصيل بغية التعليم، فهي ضمن الإخباريات تارة والتوجيهيات تارة أخرى. وبهذا فإن الحديث تكثر فيه الجمل الفعلية.

يلاحظ كثرة الفعل (قال) وبتصريفات مختلفة، وذلك لأن في الحديث حوار، وكلام قيل، ولأن نقل الأحداث كان مفصلاً. بالإضافة إلى تعدد الأدوات والأغراض اللغوية من نفي (لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصِرْ)، وتخيير (أَنْسَيْتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ)، (مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ) وترتيب

(فَصَلَّى مَا تَرَكَ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ فَرُبَّمَا سَأَلُوهُ ثُمَّ سَلَّمَ).

وكل ذلك يضيف حيوية وحركة للحديث، وتناسقا مع الروابط اللغوية، فإنها تمنح النص تسلسلا واتساقا في السرد والوصف.

- "حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ هُوَ ابْنُ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ الْعَصْرَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَرَأَى مَا فِي وَجْهِ الْقَوْمِ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ لِسُرْعَتِهِ فَقَالَ: ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ تَبْرًا عِنْدَنَا فَكْرِهْتُ أَنْ يُمْسِيَ أَوْ يَبِيتَ عِنْدَنَا فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ." أخرجه البخاري تحت رقم (1221).

إن الإشارة المتضمنة في هذا الحديث هو القيام بسرعة، قد تكون أمانة عادية في كثير من الأحيان، لكن دلالتها هنا كبيرة ومختلفة كونها جاءت عقب الصلاة مباشرة، لأننا نعلم أن بعد الفراغ من الصلاة يستريح الفرد ويسبح الله ويكبره ويحمده ولا يترك مكانه بسرعة، وهو أمر دعانا إليه الحبيب المصطفى في كثير من الأحاديث. وقد دل عليها راوي الحديث ب (قام سريعا).

ويمكن توضيح ارتباط هذه الإشارة بالمعالم التداولية فيما يلي:

1- القصدية: إن انطلاق الرسول مسرعا نحو بيته ومباشرة بعد فراغه من الصلاة كان لغاية هو تذكره بوجود مال في منزله فأمر بقسمته كراهية منه أن يبيت دون قسمة وحرصه الشديد على ذلك. أما بخصوص تعليل فعله ذلك لأصحابه بعد أن رأى التعجب في وجوههم فهو كما فسرهم محمد العثيمين بأن على صاحب أن يفسره لأصحابه تصرفاته التي لا يفهمون مغزاها حتى يدوم الصفاء بينهم وتبقى المودة وتقوى الصلة بينهم ولإزالة الشكوك مادام إخبارهم لا يضرهم ولا يحدث فتنة.¹ لذا فإن الرسول نجده يفسر كلامه حينما لا يفهم المقصد الحقيقي منه، فإنه هذه المرة اضطر إلى تفسير سبب سرعته في المشي حتى يستبين أصحابه دلالتها ويزول التعجب والاستفهام من أذهانهم.

¹ محمد بن صالح العثيمين، شرح صحيح البخاري، ج4، ص314.

2- الإشارات:

2-1- إشارات مكانية: وضح لنا الراوي أن المكان كان في المسجد، لأنه أخبرنا أنه دخل على زوجاته، ونحن نعلم أن مسكنه مخرجه مباشرة للمسجد، وإلا لما استطاع القوم معرفة وجهته واستغرابهم من ذلك.

2-2- إشارات زمانية: أما بخصوص الزمان فقد أخبرنا أنه وقت العصر.

2-3- إشارات اجتماعية: استعمل الراوي مصطلحي (القوم، نسائه)، لأنه يتكلم بالعموم، فالقوم عبارة عن مصلين، وعادة ما يكون المصلين مختلطي الأجناس والعلاقات، من صديق إلى غريب وعابر سبيل وجار...، أما نسائه فالرسول قد أخبرهم أنه بأنه أمرهم بقسمة المال بين نسائه، والراوي أخبرنا ب (بعض نسائه) لأن الأمر بالقسمة يتطلب الإعلان ولا يهم حضور الجميع على عكس تنفيذ القسمة.

3- الافتراض المسبق: تعجب أصحاب الرسول من سرعته، لأنهم يعلمون أن بعد الصلاة مباشرة يفترض أن يجلس المصلي ويذكر الله، يدعو ويقرأ ما آثروه عنه ، لذا فإن في قيامه السريع أمر يدعو للتعجب.

4- الاستلزام الحواري: إن الحديث الذي بين أيدينا يحمل حوار من نوع آخر، حيث تجتمع فيه الحوار الصامت والناطق في آن واحد، فقد كانت هيئة التعجب على محيى الصحابة كسؤال موجه للرسول عن سبب سرعته، فما كان إلا التجاوب معه وتوضيح الأمر، بإخبارهم عن السبب بالكلام الصريح والمباشر فقال : ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ تَبَرًّا عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يُمْسِيَ أَوْ يَبِيتَ عِنْدَنَا فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ. وقد كان في كلامه تفصيل، لأنه لو لم يخبرهم بأنه تذكر في الصلاة، لكان استغرابهم أكبر، لأنه كان بإمكانه إخبارهم سابقا، كما أخبرهم عن سبب تعجيله، وعدم انتظاره لوقت لاحق، ذلك لأنه كره أن يمسي أو يبيت دون قسمه. ولابد من أن التراخي في الموضوع يحدث فتنة أو أمر آخر مكروه، وإلا لما تعجل في ذلك. إن الرسول راعى الموقف، فنطق بما يفي الغرض مراده، فكلامه دون سؤالهم مباشرة كان بمناسبة تعجبهم، فتكلم بالكم والكيف المناسبين وبتهذيب كامل من الطرفين، لأن

المصلين رغم تعجبهم لم يسألوا صراحة، لان للبيوت أسرار. في حين أن الرسول تكلم صراحة لإزالة الحيرة ولأن الموضوع لا بأس بالحديث عليه.

5- أفعال الكلام: يلاحظ أن الحديث فيه كلام الراوي لحادثة حصلت فتحدث بصفة المضارعة عن نفسه (صليت) وهو فعل مباشر غرضه الانجازي الإخبار، في حين تحدث بصفة الماضي حينما انطلق في السرد ما حدث فقال: (قام، دخل، خرج، رأى) وهي أفعال مباشرة أيضاً، تصنف ضمن الإخباريات، ثم عاد بالحديث بصفة المضارعة لكن عن الرسول هذه المرة، لأن النقل هنا كان نقلاً حرفياً لا سرداً فقال: (ذكرت، كرهت، يمسي، يبيت، أمرت) وكلها أفعال مباشرة لأن الرسول يخبرهم بما حدث مباشرة لإزالة حيرتهم، فكانت ضمن الاخباريات.

إن هذا التواتر بين الماضي والمضارع والنقل المباشر للكلام أضفى حيوية على الحديث، فلم يكن سرداً جافاً، ولا نقلاً مملاً، بل تناوب بين هذا وذاك، فكان الدور الكبير للجمل الفعلية في ذلك الأمر.

- " حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عُمَانَ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبُو عُمَانَ عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ وَفِي يَدِ النَّبِيِّ عُوْدٌ يَضْرِبُ بِهِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَفْتِحُ، فَقَالَ النَّبِيُّ : افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَذَهَبَتْ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ فَفَتَحَتْ لَهُ وَبَشَّرَتْهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَإِذَا عُمَرُ، فَفَتَحَتْ لَهُ وَبَشَّرَتْهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ أَوْ تَكُونُ، فَذَهَبَتْ فَإِذَا عُمَانُ فَقُمْتُ فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ فَأَخْبَرْتُهُ بِأَلْذِي قَالَ، قَالَ: اذْلُلْهُ الْمُسْتَعَانُ. " أخرجه البخاري تحت رقم (6216).

الإشارة المتضمنة في هذا الحديث هو تغيير هيئة الجلوس، وقد دل عليها الراوي في قوله (وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ)، للدلالة على أن الكلام أو الفعل يثير الهلع والحيرة والاضطراب. فبعدما كان الرسول يتكلم بصورة طبيعية وفي وضعية مريحة، فجأة استقام من الاتكاء إلى الجلوس، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تغير اتجاه الكلام من الانسياب والأريحية إلى شيء مختلف عنه تماماً. ذلك أنه في المرتين الأولى والثانية كان يبشر بالجنة وهو أمر

سأر، يريح النفس، لكن في المرة الثالثة بالرغم من أنه لا يزال يبشر بالجنة لكنها تصاحب مصيبة وهي أمر تقزع لها النفس وتتغير معها حركات الجسد كلها منتفضة لها ومستشعرة للموقف.

وترتبط هذه الإشارة الحركية بالمعالم التداولية كما سنوضحه فيما يلي:

1- القصدية: إن الحديث الذي بين أيدينا يوضح لنا قصد الرسول في أنه يوحى له ويُعلمه بالغيب، وذلك تعظيماً له ودلالة على صدق نبوته. فأهل الجنة والنار لا يعلمهم إلا الله، مثلاً لا يعلم المستقبل إلا هو، لكن الرسول في هذا الموضع يكشف لنا عن كلتا الحالتين. كما يجدر الإشارة إلى أن تلك الحركة الجسدية التي أداها الرسول في المرة الثالثة التي طُلب منه الاستفتاح وتغيير جلسته بعدما كان متكئاً، إلا للدلالة على أهمية وعظمة الحديث وإلا لما استفاض له الجسد.

2- الإشارات:

1-2 الإشارات المكانية: في هذا الحديث حدد الراوي المكان، لكن ليس بدقة كبيرة، ذلك أن المكان هنا ليست بالأهمية الكبيرة التي تضيء افادة للقارئ، فقال: (فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ)

2-2 الإشارات الشخصية: الملاحظ في هذا الحديث أنه يغلب عليه نوعين من الضمائر، تاء المتكلم المتعلقة بأبي موسى ونجدها في (ذهبت، فتحت، بشرت) والهاء العائدة على الرجل الذي يطلب الاستفتاح ونجدها في (بشرته، تصيبه، أخبرته، فتحت له). وفي كلتا الحالتين فإن دور الضمير هو تنسيق الحديث وتعيين وجهة الكلام.

لكن في الحديث عن الرسول ذكر مباشرة (النبي) للتوضيح أنه هو المسيطر على اتجاه الحديث، فهو الأمر الناهي هناك، لذا كانت الضمائر للمتلقين وكان المصطلح كاملاً معبراً على الرسول .

3- الافتراض المسبق: إن الصحابة رضي الله عنهم وهم في طلبهم ذلك يعلمون أنه يوحى للرسول ما لا يعلمون، ويصدقون نبوته والأخبار التي يأتيهم بها وإلا لما كانوا يطلبون منه ذلك.

4- الاستلزام الحواري: إن التعاون الحواري يظهر هنا في صورة جليلة، الذي يعد أساس الاستلزام الحواري، فالحوار الذي يجري هنا بين الرسول وأبي موسى من جهة وبين أبي موسى (ناقل رسالة الرسول) والرجل الذي جاء يطلب الاستفتاح من جهة أخرى. لأنهم احترموا قواعد الحوار من إيجاز ودقة وإيصال المعنى كاملاً، وأهم شيء الصدق والأمانة في نقل الرسالة الموجهة من الرسول للصحابي، فسان أبي موسى الرسالة.

فَقَالَ النَّبِيُّ : افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ،
فَذَهَبَتْ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ فَفَتَحَتْ لَهُ وَبَشَّرَتْهُ بِالْجَنَّةِ
ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرَ، فَقَالَ: افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ،
فَإِذَا عُمَرُ، فَفَتَحَتْ لَهُ وَبَشَّرَتْهُ بِالْجَنَّةِ،

نلاحظ أن الراوي نقل الكلام حرفياً، مما يجعل القارئ يشعر بالتكرار وذلك ليبلغنا الأمانة في النقل والحرص عليها قدر المستطاع.

ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ أَوْ تَكُونُ،
فَذَهَبَتْ فَإِذَا عُثْمَانُ فَقَمَتْ فَفَتَحَتْ لَهُ وَبَشَّرَتْهُ بِالْجَنَّةِ فَأَخْبَرَتْهُ بِالَّذِي قَالَ،
قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

كما يلاحظ هنا تقبل عثمان الخبر الذي كان، دون الخوض في نقاش حول البلوى التي ستصيبه لأنه يدري أن الرسول قد أخبره ما يجب أن يعلمه، ولو أراد أن يعلم أكثر لأخبره دون الحاجة للسؤال.

كما أن الشيء الملاحظ هو مدى التهذيب في الحوار، من طلب الاستفتاح وقبول عثمان رضي الله عنه الخبر رغم قساوته بلين وتهذيب شديدين. وكيف كان الحديث في المناسبة دون الخروج عن الموضوع حتى في حين إخباره بالمصيبة، كان جوابه مناسباً وهو الصبر

والدعاء، وبهذا فإن كل ما يعتري هذا الحديث هو موافق لمبدأ التعاون، فتكلم الجميع بالكم والكيف المطلوبين بتهديب وفي المناسبة الصحيحة.

5- أفعال الكلام: بالنظر إلى الأفعال ضمن هذا الحديث، يتبين لنا أنها تقنع تحت التعبيرات حيناً، فالرسول في تبشيره بالجنة، هو يخبرهم أن الجنة ستكون بشرى لهم وسيدخلونها. وفي حين آخر نجد الراوي في حديثه تقرير وإخبار لما حدث من خلال سرده لتفاصيل الحديث انطلاقاً من (يَضْرِبُ، جَاءَ، جَلَسَ)، يَسْتَفْتِحُ (3 مرات)، فَذَهَبْتُ (مرتين) فَتَحْتُ (3مرات)، بَشَّرْتُهُ (3مرات)، تُصِيبُهُ قَمْتُ، أَخْبَرْتُهُ.

ونجده حيناً آخر ضمن التوجيهيات من خلال أفعال الامر التي تقع على أبي موسى في: افْتَحَ (3 مرات) بَشَّرَهُ (3مرات).

أما الجملة الأخيرة التي كانت عبارة عن دعاء من طرف عثمان رضي الله عنه فهي عبارة جملة تعبيرية، تحمل في طياتها فعلاً غير مباشر.

ونجد أن الأفعال متنوعة بين الماضية في سرده للتفاصيل وبين الأمر حينما كان الرسول يأمر أبي موسى بالفتح والتبشير، وبين المضارعة في حديث أبي موسى عن قيامه بواجبه في تبليغ ما طلب منه، وهذا كله يمنح الحديث حيوية وتتاسق في السرد.

ثانياً: الإشارة بملامح الوجه

الوجه هو مرآة الفرد، تعكس ما يختلج في النفس البشرية من أفكار وما يعتري الانسان من عواطف وأحاسيس، فمقابلة الشخص المتحاور معه ورؤية معالم وجهه يكشف لنا ما يفكر فيه أو ما يشعر به في تلك اللحظة، إن ملامح الوجه تُبَلِّغُ الكثير من المعلومات حتى لو لم ينطق بها أو لم يعبر بها صريحا، وفي هذا الصدد قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه"¹.

ومن مقولات ابن جني الواردة في هذا الصدد مفادها: "أنا لا أحسن أن أكلم انسانا في الظلمة"، وكأنه يقصد ان الحديث يكون ناقصا باختفاء ملامح الوجه من الحديث، فبغض

¹ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ط1، 2001، ج7، ص321.

النظر عن النبر والتنغيم في الحديث فان الملامح تكُن ايضاً عن مدلولات مختلفة للفظه الواحدة، فتظافر الملامح والكلام يعين على الفهم الحقيقي للمقصود، فكلام عادي بتقطيب الحواجب يكون تهديداً في حين آخر، وخير مثال في مجالنا هذا المثل المعروف: "رب إشارة أبلغ من عبارة".

- "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ أَبِي النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ وَرَجُلَايَ فِي قِبْلَتِهِ فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي فَقَبَضْتُ رِجْلِي فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهَا قَالَتْ: وَالْبَيُوتُ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحُ." أخرجه البخاري تحت رقم (513).

يتضمن هذا الحديث الإشارة بالعين من خلال الغمز، وقد أشار إليها الراوي بقوله: (غمزني) في خطابه الإشاري مع سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

وترتبط هذه الإشارة بالمعالم التداولية من خلال ما سنوضحه فيما يلي:

1- القصدية: عمد الرسول إلى استعمال الإشارة في هذا الحديث لأن ما من وسيلة غيرها للتواصل دون قطع الصلاة، فلما أراد أن ينبه السيدة عائشة رضي الله عنها أنه سيسجد وعليها أن تقبض رجليها الممددتين أمامه غمزها، فاكتمل التواصل وفهمت مقصودة من خلال الاستجابة المباشرة لطلبه الذي كان بالإشارة دون اللفظ.

2- الإشارات:

1-2- إشارات زمانية مثل: يومئذ، وهي إشارة زمانية تدل على الوقت الذي عاصرتة السيدة عائشة رضي الله عنها. بينما كنت فهي تدل على زمان غير محدد عددا وزمنا، فهذه الحادثة التي ترويه لنا السيدة عائشة رضي الله عنها، قد تكون حدثت مرة واحدة أو مرات عديدة.

2-2- إشارات اجتماعية: في رواية السيدة عائشة رضي الله عنها للقصة قالت: رسول الله، بالرغم من أنها كانت تستطيع أن تلقبه بعدة أسامي مختلفة مثل: محمد وزوجي... لكنها بالرغم من القرابة الشديدة بينهما والصلة التي تربطهما والمحبة التي بينهما إلا أن الاحترام

والتقدير ورفع الشأن لا تسمح لها إلا أن تلقبه بأهم ما يميزه عن سائر البشر وهو الرسالة التي بعث من أجلها، فقالت: رسول الله.

2-3- إشارات شخصية: تنوعت الضمائر في الحديث من ضمائر متصلة وضمائر مستترة، والغالب عليها الضمائر المتصلة التي تعود على السيدة عائشة رضي الله عنها ونجدها في (رجلي، غمزني، قبضت، رجلي، بسطنهما، قالت)، ونجد الضمائر المتصلة التي تعود على الرسول مرتين فقط، في الهاء (قبلته) والياء في (غمزني). أما الضمائر المستترة فنجدها مرتبطة بالأفعال التالية: سجد، قام، (هو العائدة على الرسول)، أنا (أنا العائدة على السيدة عائشة رضي الله عنها).

يعتبر هذا التنوع في الضمائر ونيابتها عن الألفاظ الصريحة في حالات كثيرة مصدر تناسق وخفة للنص، كما يمنع التكرار المخل بالسلاسة، مما يمنح النص ترابطاً منطقاً.

3- الافتراض المسبق: إن علم السيدة عائشة رضي الله عنها بأن الكلام يقطع الصلاة، جعلها تفهم الإشارة المبنية على الغمز، مباشرة واستجابة سريعة توحى بمدى سلاسة التواصل والتفاهم بينهما. كما أن هذا الأمر يحيلنا إلى إدراك اتفاق الناس على الإشارة واستعمالها مكان المصطلح ونجاعة الأمر بحصول التواصل.

4- الاستلزام الحواري: إن القارئ السريع للحديث يعتقد أنه خال من الحوار، غير أن العكس تماماً هنا، فهو حوار كامل، إلا أنه حوار مبني على الإشارة دون اللفظ الصريح، فلو أردنا ترجمة الحديث إلى ألفاظ لوجدناه كما يلي:

غَمَزَنِي = اقْبِضِي رِجْلِيكَ يَا عَائِشَةُ

فَقَبَضْتُ رِجْلِيَّ = نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَا أَنَا قَبَضْتُهَا

وهنا نرى حوار تام، يحمل مبدأ التعاون الحواري من خلال الطلب والاستجابة المباشرة، محترمان الكم والكيف المطلوبان حيث كانا عبارة عن إشارة (الغمز) واستجابة دون قطع الصلاة بالتساؤل عن ماهيتها أو معناها، فكان الفهم حاصلًا. كما يحتوي على مبدأ التهذيب بعدم قطع صلاة الرسول واحترام صلاته والتحاور بما أراد.

5- أفعال الكلام: يتضمن الحديث عدداً من الأفعال تصنف ضمن الإخباريات، فالراوي يريد إخبارنا بعدة أمور، كأن الإشارة لا تقطع الصلاة على عكس الكلام، كما أن تمدد السيدة

عائشة رضي الله عنها أمامه أيضا لم يقطع صلاته. فنجد: سَجَدَ غَمَزَنِي فَقَبَضْتُ قَامَ بَسَطْتُ. كلها أفعالا ماضية، لأن الحادثة كانت قد اكتملت وانقطعت أحداثها. كما تصادفنا جملة الشرط: (فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا) التي تضيف حيوية على الحديث واستمرار دلالتها، أن الفعل الذي قامت به لم يستكره الرسول ، وإلا لما كررت الفعل، فالغمز كان لتبنيها لتلك اللحظة فقط لا نهيبها.

6- الحاج: عمدت السيدة عائشة رضي الله عنها إلى التذكير بأنه لم يكن آنذاك مصابيح، لتكون حجة لها بأنها لم تتمكن من رؤية الرسول في سجوده وإلا لما كان عليها أن تنتظره حتى يغمز لها، وهذا ما ذكره محمد بن صالح العثيمين في شرح هذا الحديث مستخرجا الفوائد منه، فكانت الفائدة الثالثة: "لأنه لو كان فيها مصابيح لعرفت أن الرسول يريد السجود، فتكفُ رجليها، ولا تحوجه لأن يغمزها"¹، فهي بهذا لجأت إلى وسيلة حاجية منطقية، يتقبلها العقل السليم مباشرة.

- "حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ قَالَ شُعْبَةُ: أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلَا أَشُكُّ ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ." أخرجه البخاري تحت رقم (6023)

- وأخرجه بروايات مشابهة تحت رقم (6563)

يحتوي نص الحديث الذي بين أيدينا على إشارة متمثلة في الإشاحة بالوجه، وهي إشارة تختلف مدلولاتها حسب الموقف الحاصلة فيه، فتارة تكون خجلا، وأخرى كراهية وأخرى ترفعا... وقد دل عليها الراوي في نصه بقوله (وأشاح بوجهه) مرتين. وترتبط هذه الإشارة بالمعالم التداولية كما سنبينه فيما يلي:

1- القصدية: إن النص الذي بين أيدينا والمتضمن للإشارة المتمثلة بإشاحة وجه الرسول بعد ذكره للنار، لها دلالة عظيمة لا تعبر عنها الألفاظ، فهي إشارة تحمل في طياتها الكثير من التأثير وتعاضد الكلام بالمعنى، فالخوف من النار يجعل تخيل الموقف فقط يفرع

¹ محمد بن صالح العثيمين، شرح صحيح البخاري، ج2، ص427.

الفرد وتتكون لديه ردة فعل لا إرادية محاولا الابتعاد عنها وعدم النظر إليها. إن ردة فعله تلك ، كانت بمثابة كلام كثير للتعبير عن عظمة النار ومخافتها والسعي لتجنبها، والدليل على ذلك أن الرسول بعد ذكره للنار وإشاحة وجهه، وجهنا مباشرة للعمل الصالح الذي يجيرنا من النار وهو التقوى في كل شيء وإن لم يستطع الفرد فقد دله الرسول على أبسط الأمور وهي شق تمرّة أو كلمة طيبة.

2- الإشارات:

2-1- إشارات شخصية: يحمل الحديث في طياته عددا من الإشارات الشخصية المتمثلة في ضمائر المفرد في الجزء الأول من الحديث حينما تحدث الرسول عن النار، وهي تعود على الرسول في (وجهه) في المرة الأولى والثانية، والهاء في (منها) وهي تعود على النار، ونجد ضمير جمع المخاطب (أنتم) حاضرا معنا، لأن الرسول في الأخير حاول توجيه الناس إلى السبل التي تجنبهم النار، فأمرهم بالتقوى بقوله: (اتقوا)، ثم وجه الفرد بدل الجماعة لأن كل شخص مسؤول عن نفسه، فقال: (إن لم تجد) وهنا يقابلنا ضمير المفرد المخاطب (أنت).

إن هذا التنوع بين المفرد والجمع، يجعلنا نفكر في أنه علينا أن نسعى معا جاهدين لتجنب النار، لكن أحيانا حين لا تصلح الجماعة، فإن الفرد يبقى مسؤولا عن نفسه فيواصل جهاده في هذه الدنيا.

3- الافتراض المسبق: تتفق الناس في اصطلاح كثير من الأمور، وتجاوزت ذلك إلى التوافق على الرموز، فكما نعلم أن الإيماء بالرأس من الأعلى إلى الأسفل تعني الموافقة، فإننا ندرك ببساطة أن إشاحة الوجه أثناء الكلام فإن له دلالة سلبية، إما تقززا أو كراهية أو مخافة... ولهذا فإننا في هذا الحديث، حينما نصادف هذه الإشارة فإننا ندرك أن إشاحة الرسول لوجهه الكريم بعد تعوذه من النار، يعني أن النار شيء مخيف يُهاب ويُخاف منه ويجب السعي للعمل حتى لا تقع ناظرنا عليه لأن المنظر مهول لا تطيقه الأبصار.

4- أفعال الكلام: يمكن تصنيف هذا الحديث ضمن التوجيهيات، ذلك أن الرسول يحاول توجيه الناس الى الطريق السليم المؤدي للجنة، فقال: (اتقوا) فتحدث مع البشرية أجمع، ثم خص كل فرد على حدى في جملة الشرط (إن لم تجد فبكلمة طيبة).

نقل الراوي الحديث سردا ووصفا لهيئة الرسول، فاستعمال الأفعال الماضية، فنجد (ذكر، أشاح (مرتين)، تعوذ(مرتين)) وهي تصنف ضمن الإلزاميات، لان في كلام الرسول تخويف من النار، وقد ختم كلامه بأمر فقال: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)، فإذا كان في ظاهره أمر فهو في حقيقته توجيه للأمر المحقق لدخول الجنة.

5- الحجاج: كان على الرسول أن يوصل رسالته كاملة للبشرية، وفي هذا الحديث سعى الرسول إلى ترهيبهم من النار وإخافتهم منها وتوجيههم إلى الطريق الصحيح المؤدي إلى الجنة، فعمد إلى أسلوب الحجاج الذي لا بد منه لإقناع الناس، فعمد إلى وسيلة لغوية وهي التعوذ مرتين من النار، فالتكرار أداة لسانية تجعل الإنسان يتفطن إلى أن هذا التكرار ما هو إلا لغاية هامة وتنبية يجب إدراكه، لكن هذا التكرار اللغوي ازداد قوة بتعاضده مع التكرار الإشاري، ذلك أنه كلما تعوذ من النار أشاح بوجهه، وكأنه كلما تذكرها تعوذ منها وتمنى ألا يراها من خلال ردة فعله تلك. وكان عليه إنجاح رسالته من خلال توجيههم الى السبيل التي تمنعهم من دخول النار، ألا وهي التقوى.

ثالثا: الإشارة باللسان

" حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ رَأَى نُخَامَةً فِي الْقُبْلَةِ فَحَكَّهَا بِيَدِهِ وَرَأَى مِنْهُ كَرَاهِيَةً أَوْ رُئِيَ كَرَاهِيَتُهُ لَذَلِكَ وَشَدَّتْهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ رَبُّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِبْلَتِهِ فَلَا يَبْزُقَنَّ فِي قِبْلَتِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَزَقَ فِيهِ وَرَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ قَالَ: أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا" أخرجه البخاري تحت رقم (417) وأخرجه برواية مشابهة تحت رقم (416)

يتضمن الحديث الذي بين أيدينا إشارة صادرة من طرف اللسان، فالبزق لا يحدث إلا به. وهي فعل صدر من الرسول لتوضيح مراده هنا حينما لزم الأمر، ونجدها في قول الراوي (فبزق فيه).

وترتبط هذه الإشارة بالمبادئ التداولية كما سنوضحه فيما يلي:

1- القصدية: استتكر الرسول رؤية النخامة في المقبلة، فحكها بغية إزالتها. ثم أراد أن يعلمهم الفعل الصحيح في حال اضطر أحدهم لذلك، فدلهم على 3 طرق، الأولى البزق عن يساره والثانية تحت قدمه، والثالثة التي تتضمن فعل إشاري هو البزق في طرف الرداء ورده

على بعضه. فكان قصد الرسول من تلك الإشارة تعليمهم كيفية إخفاء النخامة باعتبارها أذى يؤثم عليه، وإلا لما رأوا الكراهية من وجهه الكريم . وفي حديث آخر أخرجه البخاري تحت رقم (415) أخبرنا أنها خطيئة وكفارتها دفنها. وهو ما قام به الرسول بدفنها داخل ردائه أو تحت قدمه.

2- الإشارات:

إشارات شخصية: يتضمن هذا الحديث إشارات شخصية تدل على العموم، لأن الرسول يعلم الناس كافة وليس الحاضرين آنذاك فقط، فقال: (إِنَّ أَحَدَكُمْ)، وواصل شرحه الفعل الصحيح، ونجد حينها أن الهاء تعود على نفس الدلالة، ونجد الهاء في: صَلَاتِهِ، رَبِّهِ، رَبُّهُ، بَيْنَهُ، قَبْلَتِهِ (مرتين)، يَسَارِهِ، قَدَمِهِ.

الإفتراض المسبق: إن الرسول لو لم يعلم أن الإنسان قد يضطر إلى ذلك بزق النخامة حتى أثناء الصلاة، لما وجهنا إلى الأسلوب المناسب للتعامل معها. وإلا كان عليه أن ينهى عن الفعل من أساسه.

ولأن الملامح والإشارة لغة ثانية، يدرك معناها الفرد دون وساطة، لما تمكن الراوي من إدراك أن الرسول قد استنكر ذلك الفعل، بالرغم من عدم تلفظه به صريحا.

رابعا: الإشارة باليد

اليد عضو حساس في الجسم البشري كونها أداة أساسية في حياته، تعينه على أداء الأشغال المختلفة ومتفاوتة الصعوبة والدقة، لذا فهي تسهل عليه الحياة وأصعب المهام، غير أنها لا تكتف بمساعدته في الأعمال فقط، بل تكون أحيانا المعين والمرافق للواجب اللسان في آدائه للكلام، لما لها من فضل في الاعانة على تبيين الكثير من القاصد دون اللجوء إلى الالفاظ، فببساطة توجهنا إلى جهة ما، أو الشيء المراد البحث عنه أو المكان أو حتى العدد من خلال العقد وغيرها الكثير، ولذلك نجد الرسول قد استعان بها في كثير من أحاديثه في التدليل بها...

- "حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ فَبَيْنَا النَّبِيُّ يَخْطُبُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْكَ الْمَالُ

وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى تَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَمِنْ الْغَدِ وَبَعْدَ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدِمُ الْبِنَاءَ وَغَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفُرَجَتْ وَصَارَتْ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجُوبَةِ وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةَ شَهْرًا وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ" أخرجه البخاري تحت رقم (933).

يتضمن الحديث الذي أماننا إشارة، استعمل فيها الرسول يده الكريمة للإشارة ونجدها في قول الراوي: (فرفع يديه) دلالة على الدعاء، ونجد إشارة أخرى ذكرها الراوي صريحة بقوله: (يشير بيده) وهي الإشارة التي سنستغلها في تحليلنا لهذا الحديث من خلال الأبعاد التداولية.

1- القصدية: في هذا الحديث إشارة عن الدعاء، وأن الإنسان في دعائه يتأدب ويرفع يديه خشية من الرجاء وتذللًا له، وقد فسر العثيمين هذا الحديث، ومعنى الإشارة التي قام بها رسول الله بإشارته نحو السحاب، أنه ليس هو السبب في انفراج السحاب، لأن ذلك كله بأمر الله ولا يسير الكون غيره، إلا بأمر منه، إنما أشار إليها أراد أن يوضح للناس كيف تنفجر السماء فوجه أنظارهم إليها، أي حوالينا هكذا وهكذا.¹

2- الإشارات:

1-2- إشارات زمانية: يوضح لنا الراوي في هذا الحديث العامل الزمني بعدة مصطلحات عامة، فقال: سنة، عهد الرسول ، شهرًا، يوم الجمعة، وبما أنه قال يخطب يوم الجمعة فقد وضح لنا أكثر الزمن يعني وقت صلاة الجمعة، لأن صلاة الجمعة هي التي ترافقها خطبة. ولهذا يتضح لنا أن الراوي بتلك المعالم الزمنية أرادنا أن نعلم ما يجب معرفته والتي تحصل منه الفائدة، أي أن دعاء الاستسقاء كان وقت الصلاة وأن الرجل قاطع الرسول في خطبته، والرسول لم يستتكر ذلك الفعل بل تجاوب معه بشكل طبيعي.

¹ محمد بن صالح العثيمين، شرح صحيح البخاري، ج3، ص555.

2-2- إشارات مكانية: أخبرنا الراوي أن الحدث كان في المدينة من خلال قوله: (صارت المدينة مثل الجوبة)، وأكثر دقة في المسجد، والرسول على المنبر يخطب. وكما ذكرنا مع الإشارات الزمانية، فإن الراوي قصد هذا التحديد ليوضح لنا أن الاعرابي قاطع الرسول في مصلحة الجماعة، ولهذا فإن الرسول لم يستتكر. ويمكن استنتاج أنه يمكن طلب الدعاء من الإمام الخطيب أثناء خطبته في مصلحة الجماعة.

2-3- إشارات شخصية: استخدم الراوي ألفاظ مألوفة ومستعملة في ذلك الزمن وتلك المنطقة بكثرة وهي: الأعرابي، العيال، فكان التعبير منطقياً مقبولا لدى القارئ، فالأعرابي هو البدوي، أي من البادية، الرجل البسيط العادي الذي يعمل في الحرف والرعي والزراعة. بينما نجد الأعرابي قد استخدم لفظة: يا رسول الله بدل محمد، وهذا احتراما واجلالا، ولأنه جاء في موقف الطالب المتضرر، ودعاء الرسول المستجاب هو رجاؤه والحل الذي قصده.

3- الافتراض المسبق: يمكننا استنباط عدة من الافتراضات المسبقة من هذا الحديث، فمثلا: حديث الراوي على الخطبة يوم الجمعة يعني أنها وقت الظهيرة أي وقت صلاة الجمعة والتي تكون في سائر الأيام صلاة الظهر. كما أن الأعرابي بقوله: هلك المال وجاع العيال، فإنه يجعلنا ندرك أنه مزارع، بينما الرجل الآخر ولأنه تحدث عن البناء، فهذا يعني أنه لا علاقة له بالزراعة وتربية المواشي إنما قد يكون من السكان العاديين.

كما أن الراوي لم يقل لنا ان الرسول دعا الله تعالى كما طلب الأعرابي، إنما أخبرنا بإشارة فقط التي أداها وهي رفع اليدين، وهي الحركة التي يكون بها الانسان في هيئة خضوع لله وطلب مبتغاه منه. لذا فإن الرسول لما انه رفع يديه فهي دليل على أنه دعا الله.

4- الاستلزام الحواري: يصادفنا في هذا الحديث حوار الاعرابي مع الرسول مرة، وحوار رجل آخر مع الرسول مرة أخرى. يمكن توضيحهما على الشكل التالي:

قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا (الطلب المباشر مع تعليل السبب والحاجة في كلمات دقيقة توضح غايته).

فَرَفَعَ يَدَيْهِ (التجاوب مباشرة دون انتظار ولا استفسارات أخرى ولا حتى توضيحات لفظية، بل إشارة بسيطة منه دليل على انه يدعوا الله كما طلب الاعرابي).

فكانت نزول الأمطار دليل على الاستجابة.

قَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدِمُ الْبِنَاءَ وَغَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ (تجاوب الرسول مع الرجل الثاني مثلما تجاوب مع الأول، لان كل منهما غاية إيجابية تنفع أمثاله، وإشارته كأنه يخبرهم ان انظروا قد أجاب الله).

إن الناظر إلى هذين الحوارين، يلاحظ كيف كان الحوار ناجحاً، وكيف كان الطرفان محققين لمبدأ التعاون، من خلال إيجازهما ودقتهما في الطلب والتجاوب السريع، مع ذكر التعليقات اللازمة بتهذيب فحصل تفاعل تواصل ناجح.

5- الحاجاج: اعتمد الرجلين في طلبهما من الرسول في الحالتين حجج منطقية مبنية على الاستدلال بظواهر ملحوظة، يتقبلها العقل البشري مباشرة، فكان عليهما إبراز حججهما المنطقية قبل الطلب من خلال شواهد متمثلة في الهلاك والغرق وتهدم البناء وكلها قابلة للمعينة بالعين المجردة ومن قبل الجميع دون تستر.

- "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ يَقُلُّهَا". أخرجه البخاري تحت رقم (935)

يتضمن الحديث الذي بين أيدينا إشارة ممثلة بواسطة اليد، وقد بينها الراوي بقوله: (أشار بيده يقللها). ويمكن توضيح علاقة هذه الإشارة بالمعالم التداولية من خلال ما يلي:

1- القصدية: يحثنا الرسول في هذا الحديث على كثرة الدعاء يوم الجمعة، وقد عمد إلى توضيح ذلك من خلال الإشارة التي قام بها بواسطة يده الشريفة والمتمثلة في التقليل، أي أنها فترة قصيرة، ولم يبين لنا وقتها لذا فعلى المسلم أن يكثر الدعاء وقت الصلاة، عساه يصادف تلك الفترة القصيرة التي أخبرنا بها الرسول فيستجاب دعاءه ويكن من الفالحين.

وقد استعان الرسول بأسلوب الإشارة حتى تبقى يعي الفرد آنذاك مدى قصر تلك الفترة، ذلك أن الكلام لا يؤدي دوماً الغرض المنشود، لو لا تعاضده بالإشارة.

2- الاشارات:

2-1- الإشارات الزمانية: كانت الإشارات الزمانية المحور في هذا الحديث، فالرسول وضح لنا اليوم بدقة، وهو يوم الجمعة، كما وضح لنا أكثر الزمن، فقال: (وهو قائم يصلي)، لذا كان النقل تاماً ودقيقاً، لأن العامل الزمني أساسي في الموضوع، إلا أنه لم يوضح لنا أي ساعة بالتحديد أو أي صلاة هي فقال: ساعة، وهو أمر مبهم، حتى يثابر الفرد في كامل الصلوات ويكثر فيهم الدعاء، فلا يقتصر على صلاة دون أخرى.

2-2- إشارات شخصية: نصادف في هذا الحديث لفظة (مسلم) وهي أمر أساسي هنا، لأن الرسول في كلامه هذا يخص الفرد المسلم لا غيره، ولأن لكل إنسان مهما اختلفت ديانتها صلاته الخاصة به، لذا نبهنا إلى أنه يقصد المسلمين لا غير.

3- الافتراض المسبق: عادة ما تكون لدى الفرد خلفية معرفية حول أشياء عامة وغير مصرح بها، لذا فإن الراوي قد أدرك الإشارة التي مثلها الرسول واستطاع وصفها بالتقليل، وهي صفة يمكن التصريح بها لكن الرسول عمد إلى أسلوب الإشارة، لأن أحياناً البصر يكون أنفع وأكثر ثباتاً في ذهن من السمع.

كما يجذب اهتمامنا صفة (مسلم) في الحديث، لأن لكل ديانة صلاة، لو ترك المجال مفتوحاً، لاثير الشك والأقاويل عن هذا الحديث، لكنه وضح ذلك لأن له معرفة خلفية حول باقي الديانات وصلاتهم.

4- أفعال الكلام: يثير انتباه قارئ الحديث إلى النفي الذي كان في مقدمة الحديث (لايوافقها) وارتباطها بجملة الشرط (لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)

5- الحجاج: استخدم الرسول أسلوب حجاجي لغوي وهو عبارة عن التوكيد، وقد عبر عنها بقوله: (لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)، فهو بهذا يؤكد لنا كلامه ليتيقن الفرد أن الرسول جاد في الموضوع.

- "حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِرَجُلٍ: انْزِلْ فَاجْدَحْ لِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أُمْسَيْتَ، ثُمَّ قَالَ انْزِلْ فَاجْدَحْ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أُمْسَيْتَ إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا ثُمَّ قَالَ انْزِلْ فَاجْدَحْ فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُ فِي الثَّلَاثَةِ فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ فَقَالَ إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ." أخرجه البخاري تحت رقم (5297).

يمكننا توضيح المعالم التداولية في هذا الحديث على النحو التالي:

1- القصدية: إن الرسول في هذا الحديث وطلبه الماء من الرجل لم تكن غايته شرب الماء لأجل الارتواء بل للإفطار من صيامه، فنجد أنه قد تلاحمت الوسائل التبليغية عنده لتوضيح ذلك فتعاضدت الإشارة باليد من خلال إيمائها نحو المشرق للدلالة على أن الليل قد أقبل واللفظ من خلال الطلب المستمر على احضار الماء ليفطر من صيامه، فكانت النتيجة أن بلغ مقصده وإفهام الرجل.

2- الإشارات:

1-2- إشارات زمانية: إن الراوي للحديث ونظرا لأهمية العنصر الزمني في الموضوع فقد سطر للإشارة الزمانية مكانا في حديثه (فلما غربت الشمس) للدلالة على أن الوقت هنا معنى وأهمية، حتى يفهم القارئ للحديث أن الرسول قد تحقق من دخول وقت الإفطار.

2-2- إشارات شخصية: الملاحظ في الإشارات الشخصية، أن الرسول في توجيهه للكلام للرجل استعمل الضمير المتصل (الياء) في إجدح لي، للتحكم في اتجاه الخطاب منه للمتلقى، فاكسب سلطة في خطابه لتبيين القصد الذي يريده للمستمع، في حين أنه لم يكررها في طلبه الثاني والثالث لأن القصد قد تبين في الأولى.

في حين نجد الإشارات المتعلقة بالرجل في خطابه مع الرسول والتي هي عبارة عن ضمائر المخاطب فنجد في المرة الأولى استعمل (تاء) المخاطب، وفي الثانية استعان بـ(الكاف) في (عليك) للتوكيد على الانتظار أكثر.

3- الافتراض المسبق: إن الراوي لهذا الحديث وابتدائه الحديث عن وقت غروب الشمس ثم سرد ما تبقى من الحديث وطلب الرسول من الرجل أن يجدح له، يجعلنا ندرك أن الرجل على علم بأن الرسول في ذلك اليوم صائم وإلا لما أصر عليه بالتأخر الى حين انتهاء النهار.

4- الاستلزام الحواري: إن الملاحظ في هذا الحوار بين الرسول في طلبه للإفطار وإلحاح الرجل في التأخير أكثر اعتقاداً منه أن الوقت المحدد للإفطار لم يحن، يحيلنا إلى اكتشاف مدى تعاون كل منها مع الآخر لإيصال مقصده بالكيفية الصحيحة والكم المحدد بإيجاز ودقة، فنلاحظ الحوار:

- قَالَ لِرَجُلٍ: انْزِلْ فَاجِدْ لِي (أي أن وقت الإفطار حان).
- قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمْسَيْتَ، (أي أن وقت الإفطار لم يحن).
- ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَاجِدْ (تأكيد على أن الوقت حان).
- قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمْسَيْتَ إِنَّ عَلَيَّ نَهَارًا (تشكيك في أن الوقت لم يحن وأن الليل لم يحن).

- ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَاجِدْ (تأكيد على الثبات من الامر وأن الوقت حان).
- فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُ (حصول الاستجابة من خلال التأكيد).
فنلاحظ أن مدى الإيجاز في القول مع إيصال المعنى كامل، فتنحقق العملية التواصلية بتحقيق مبدأ التعاون الذي هو جزءاً لا يتجزأ من الاستلزام الحواري.

5- الأفعال الكلامية: يندرج هذا الحديث ضمن الاخباريات، فنجد النص يحفل بالأفعال التي من خلالها يتحقق الهدف التداولي، فنجد الأفعال الماضية قد غلبت على نص الحديث: أَمْسَيْتَ، شَرِبَ، أَوْمَأَ، رَأَيْتُمْ، أَقْبَلَ، أَفْطَرَ، وَأَفْعَالُ الْأَمْرِ: انْزِلْ (3مرات)، اجدح (3 مرات) وتنوع أزمنة الأفعال ضمن الحديث يحمل دلالة الاستمرارية والحيوية والحركة. أما بالنسبة للجمل فقد تنوعت بين الخبرية والانشائية، أما الخبرية: كنا في سفر، غربت الشمس، انزل

فاجدح، ان عليك نهارا، أوماً بيده، والانشائية: التمني (لو أمسيت)، ومنه فقد جاءت هذه الأفعال الاخبارية في نص الحديث متسلسلة لربط الأحداث بعضها ببعض وترتيبها لكي يسهل على المتلقي فهمها واستيعابها بطريقة جيدة. كما نجد ان الجملة الشرطية (إذا رأيتمهم ... فقد أفطر الصائم) تمثل الغرض الانجازي في هذا الحديث.

6- الحجاج: ولأن الحجاج غايته التأثير في الآخرين واقناعهم، نجد الرسول قد عمد إليه في هذا الحديث من خلال التكرار الذي يعتبر من الوسائل الحجاجية اللسانية، فتكرار الرسول (انزل فاجدح) جعل من الرجل الذي يعتقد ان النهار لا يزال والمساء لم يحن وان وقت افطار الصائم لم يدخل، جعله يفعل ما طلبه منه الرسول فتكرار الرسول من الطلب دليل على انه على يقين بأن الوقت قد حان. فنجد أن القوة الإنجازية من ذلك الفعل قد تحققت بتحقيق طلب الرسول ونزول الرجل وتنفيذ ما طُلب منه. بالإضافة إلى التكرار فان الرسول عمد الى حجة واقعية لا تقبل الشك وهو غروب الشمس الذي أشار إليه، وهو أمر قابل للمعينة لا يقبل الجدل، فهو حقيقة ظاهرة للجميع ولا يمكن الطعن فيها.

خامسا: الإشارة بالأصابع

يقول سيغموند فرويد: "ذاك الذي تصمت شفتاه يثرثر بطرف أصابعه"¹

إن اليد بصفة عامة والأصابع بصفة خاصة عضو أساسي للإنسان يتكئ عليها في حياته أيما اتكال، فهي التي يؤدي بها أعماله وتقوم عن باقي الأعضاء في أداء أصعب الإنجازات وأدقها. ولكن في أحيان أخرى هي أداة للتواصل خاصة لفئة الصم البكم هذا لا يعني ان الأشخاص السليمين يستغنون عنها كأداة للتواصل، ففي حين نجد ان حركات الجسد دائما ما ترافق الكلام بتعبيرات لا ارادية وفطرية لا يحاول المتكلم أن يشركها في حديثه لكنها تتدخل بعفوية، نجدهم في حين آخر يلجئون إليها في كثير من الأحيان حينما يعجز اللسان عن التعبير فنجدهم يعمدون إلى الإشارة للتبليغ عن مكنوناتهم ومقاصدهم وتكملة للمعنى المحكي أو إيضاحا أو تأكيداً له. ونجد الجاحظ قد تناول هذا الجانب من خلال قوله: "وأما الإشارة

¹نتالي باكو، لغة الحركات، ترجمة سمير شيخاني، دار الجبل، بيروت، ط1، 1995، ص 76.

فبالرأس أو الحاجب، والمنكب وإذا تباعد الشخصان فبالثوب والسيف...واللفظ والإشارة شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تتون عن اللفظ، وما تعني عن الخط ... ولولا الإشارة لم يفهم الناس معنى خاص الخاص.¹

- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَهْلِ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ "وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا."

أخرجه البخاري تحت رقم (5304) وأخرجه أيضا برواية مشابهة تحت رقم (6005)

إن الحديث الذي بين أيدينا يتضمن الإشارة بالأصابع، ونجدها في قول الراوي (وأشار بالسبابة والوسطى)، في حديثه عن الأجر والثواب الذي ينالهما كافل اليتيم، وهي صحبة الرسول في الجنة.

ويمكننا توضيح ارتباط هذه الإشارة بالمعالم التداولية كما يلي:

1- القصدية: الرسول في تعليمه للناس وإرشادهم للطرق التي فيها خير للبشرية، يذكرهم بالأجر الذي سينالونه جراء ذلك، وهو أمر تحفيزي، تشجيعي لعمل الخير. وهنا نجده قد وعدهم بالفوز بصحبته في الجنة، إذا ما كفلوا اليتيم حق كفالة. وهو قصد الرسول من تلك الإشارة في هذا الحديث. أي ارعوا اليتامى تتعموا بصحبتى، وتكونوا بقربي كقلب الاصبع الأوسط للسبابة.

2- الإشاريات: في هذا الحديث تصادفنا الإشارة (هكذا)، وهي إشارة غامضة إذا ما كانت معزولة عن السياق، ولهذا فإننا بقراءتها في سياقها الوارد في الحديث فإنها تحيلنا إلى المعنى الحقيقي لها، فهكذا وضحا الراوي بالسبابة والوسطى مفرج بينهما قليلا. تشبيها بقرب الرسول لكافل اليتيم في الجنة.

3- الافتراض المسبق: الرسول يعلم أن المسلم تغريه الجنة ويعمل لأجلها، لذلك وضع هذا الكلام كتحفيز على كفالة اليتيم.

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص77.

سادسا: الإشارة بالأدوات المادية

الإكسسوارات، أو المتممات المساندة، كلها أشياء تكون رديفة الكلام، تمدنا بمعان مخصوصة كاستعمال العصا أو التلويح بأداة معينة كالقلم أو السيف وغيرها ما توفر عليه المتكلم. فيرى الجاحظ أن المخاصر والعصي من مرافق الخطبة¹، ومن ذلك أن العرب كانت تشير بالعصا لتقوم مقام اليد. وفي كثير من الأحيان يلجأ إليها المتكلم لتوضيح مراده، مستعينا بها للإفهام وتحصيل عملية تواصلية ناجحة بكل السبل المتاحة، ليحقق الفهم المنشود والابتعاد عن التأويلات المتعددة.

- حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ مُنْذِرٍ عَنْ رَبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجْلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا. أخرجه البخاري تحت رقم (6417).

وأخرجه برواية مشابهة تحت رقم (6418)

إن الإشارة المتضمنة في هذا الحديث، هي إشارة باستعمال أدوات رديفة للكلام من أجل الرسم والتوضيح أكثر، ذلك أن الكلام وحده في هذه الحالة لا يدركه الجميع وقد تختلف التأويلات في تخيله في ذهن، وقد استدلل الراوي للحديث لذلك بقوله: (خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ).¹

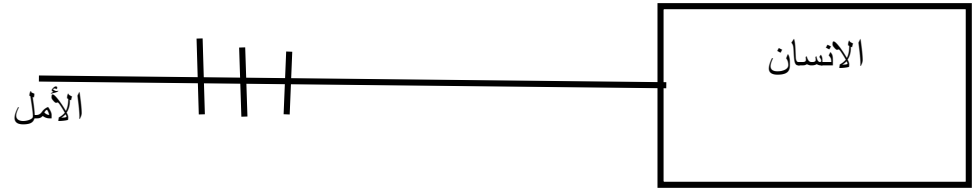
وترتبط هذه الإشارة بالمعالم التداولية من خلال ما سنوضحه فيما يلي:

- 1- القصدية: والمتدبر للحديث النبوي الشريف يجد أنه استعان بعصاه على أداء مراده وتعيين معانيه، فقد سخرها في بعض المواقف لهذا الغرض الدلالي التواصلية.

¹ المرجع السابق، ص 77.

قد كان محمد يبين عن مقاصد كلمة برسوم متخذاً وسائل شتى، وسبلاً توضيحية ومن ذلك رسم المعنى المراد على الأرض، وفي ذلك إبانة غير لفظية ظاهر أمرها بالإشارة مبنية أساساً على المشابهة التشخيصية. ومن امثلتها الحديث الوارد لنا الآن، قال: هذا الانسان الخط الاوسط وهذه الخطوط إلى جانبه الاعراض تنهشه من كل مكان، فإن أخطأه هذا أصابه هذا، والخط المربع الاجل المحيط والخط الخارج الامل¹

الأجل المحيط بالإنسان

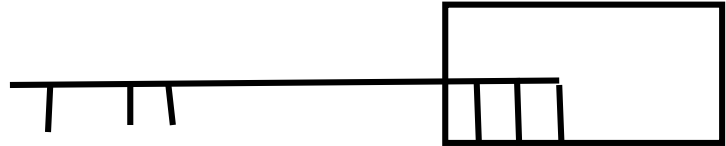


الأعراض

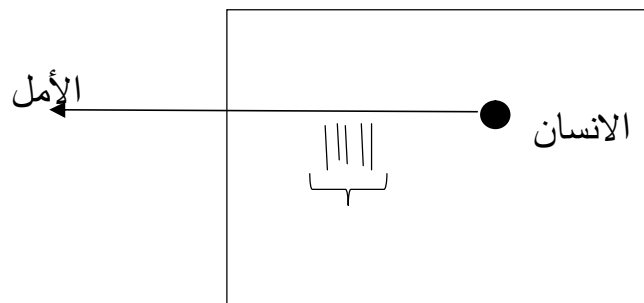
وقيل هكذا:



وقيل هكذا:



في حين علّق الأستاذ محمد عرباوي عن هذه الفكرة بوصف أوضح، فقال: "وأنا أرى أن يكون الرسم المناسب هكذا:



¹ حركة اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي، د. عبد الرحمان عطا الله، مكتبة البربري للطباعة، القاهرة، ط1، 2011، ص70.

لأن الأعراض تصيب الإنسان مادام حيا، أما إذا وصل أجله فليس لها دور أي لا معنى لوجودها، ويبقى الأمل ممتدا لأن الإنسان كان يعتقد في حياته أنه سيصل إلى تحقيقه. وهذا النوع من الخطاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- 1- الخطاب المنطوق من (هذا الانسان) إلى (نهشه هذا) في نهاية الحديث.
- 2- الخطاب الإشاري: بتوظيف العصا للرسم ولتحقيق خطاب ثالث هو:
- 3- الخطاب الصورة: وهو عبارة عن رسم يدوي، ثم بيد رسول الله بأداتي العصا والأرض، والخطاب الصورة اليوم قد يكون رسما يدويا أو رسما رقميا (بالحاسوب)، وقد يكون ملونا أو غير ملون، وقد يكون رسما متحركا مثل أفلام الكرتون أو رسما ثابتا، وقد يشكل صورة للإنسان أو الحيوان أو الطبيعة ورقية أو رقمية، وقد يتطور إلى الفيلم السينمائي الصامت أو يضاهاه الخطاب المنطوق إذا أضيف للفيلم الصوت الطبيعي أو الصوت البشري.¹

2- الإشارات: نصادف في هذا الحديث، عددا من الإشارات اللفظية (هذا، هذه) وكلها إشارات استعملها الرسول ليشير إلى جزء من أجزاء الرسم الذي خطه على الأرض باستعمال العصا، بغية شرحه وتفسير ما رسم.

3- الافتراض المسبق: لم يخبرنا الراوي في هذه المرة عن خلفيات الحديث، أي أن الرسول بشرحه هذا يجيب عن سؤال ما، أو بادر مباشرة بالشرح، لذا بالنظر إلى الاحتمال الثاني فإن الرسول عمد إلى هذا الشرح لأنه يعلم أن هذا الموضوع يشغل بال الجميع في هذه الحياة الدنيا.

4- أفعال الكلام: يصنف هذا الحديث من خلال الأفعال التي يحتويها، ضمن الإخباريات، فالرسول بعمله هذا يشرح ويفهم من أمامه بمصير الإنسان، لذا فإن الأفعال ترجع على الرسم الذي رسمه، وقد تكررت الأفعال بتكرر فعل الرسم، ولأن على الراوي النقل بدقة في

¹ عرابوي محمد، محاضرات في اللسانيات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2020/2019.

هذه الحالة وجدنا الأفعال تتكرر، خَطَّ (3 مرات)، أخطأه (مرتين)، نهشه (مرتين). ليتم الختام بجملة الشرط: (فَإِنْ أخطأه هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أخطأه هَذَا نَهَشَهُ هَذَا)، تحيل الفهم إلى أن الرسول يؤكد على أن الأعراض تصيبه لا محالة.

وهي تتنوع بين الماضي والمضارع لضمان السرد المتسلسل من طرف الراوي وشرح الخطأ من طرف الرسول .

5- الحاج: اعتمد الرسول في هذا الحديث على أسلوبين من أنواع الحاج، فنجد كما هو واضح في عموم الحديث هو الرسم الذي اعتمده في توضيح مراده، فالرسول هنا اعتمد على أسلوب المشابهة، وفي هذه الحالة تكون الصورة أقرب لذهن الانسان، كما أنها تسهل الفهم وتوحده، في حين نجده في الأخير اعتمد على أسلوب التوكيد، معتمدا فيه على أسلوب لغوي، وذلك بتكرار الجملة (فَإِنْ أخطأه هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أخطأه هَذَا نَهَشَهُ هَذَا). وبهذا كان الفهم الحاصل للجميع واحدا، وراسخا في الذهن وبيقين وقناعة ثابتين.

خلاصة:

في الختام، وبعد ما عرضناه من محاولة بسيطة لتطبيق المنهج التداولي على بعض الأحاديث النبوية المنتقاة من صحيح البخاري من وجهة تضمنها لعنصر الإشارة فيه، وتقسيمها تقسيماً تنازلياً من العام إلى الخاص، ومحاولة استخلاص كل ما يتضمنه الحديث من معالم تداولية، من قصدية وإشاريات وافتراض مسبق وأفعال الكلام والحجاج، تمكنا من الخروج بخلاصة مفادها:

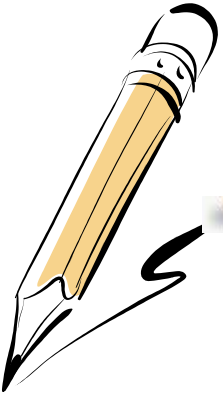
- أن التداولية بمبادئها تمكنت من احتواء الملفوظ والإشارة معاً.
- كما نجد أن الرسول قد استعمل الإشارة لدلالات مختلفة، توكيداً، تنبيهاً، توجيهاً، نفيًا...

- استعمل الرسول أدوات مختلفة للإشارة بها ولكل دلالتها المنفردة بها.

قد يلجأ الفرد إلى الاستعانة بالإشارة في بعض الأحيان، وأحياناً أخرى يستغنى عن الكلام ويعوضه بالإشارة في حالات مختلفة تضطره لذلك، وتفي الغرض المقصود بدقة، كون الإشارة متعارف عليها... .



الخاتمة



الخاتمة:

حاولنا في هذا البحث استعراض التداولية اللسانية وما تحتضنه من مفاهيم، نشأة، مهام، مفاتيح ومباحث، وتحديد مفهوم الخطاب والخطاب الإشاري من جهة أخرى، كل ذلك تحت الجناح النظري، ومن ثمّ عملنا على تطبيق مبادئ التداولية على بعض الأحاديث الإشارية للرسول المنتقاة من صحيح البخاري، وتمكنا من الخروج بالنتائج الآتية:

- رغم تعدد التعاريف والمفاهيم للتداولية إلا أنها انصبّت في معنى واحد؛ وهو أن التداولية تعمل على دراسة اللغة أثناء الاستعمال، مع مراعاة النظر إلى أقطاب العملية التواصلية للمتكلم ومقاصده والظروف والأحوال الخارجية المحيطة بها.
- استطاعت التداولية في وقت قصير أن تكون درسا واسعا وعميقا يجيب عن إشكاليات وتساؤلات لسانية في مختلف الخطابات والحوارات، عجزت عن الإجابة عنها نظريات لسانية أخرى.
- مرت التداولية بمباحث في دراستها إلا أن أهم نظرية ارتكزت عليها هي نظرية أفعال الكلام والتي وضع لها كل من أوستن وتلميذه سيرل أسسها الفلسفية وضوابطها المنهجية. كما ارتكزت التداولية على قواعد أساسية تتعلق بالإنجاز والسياق.
- يكتسب الخطاب في التداولية مفهوما مغايرا عما عُرف في النظريات اللسانية السابقة لها؛ إذ يوصف بأنه وحدة تواصلية ينتجها مخاطب معين وتوجه إلى مخاطب معين وتكون ضمن سياق معين.
- يعتبر الخطاب بواسطة اللغة الإشارية أبلغ من الخطاب الملفوظ في عملية التبليغ والتواصل.

- إن الأحاديث النبوية الشريفة على ما هي من تفاوتٍ في طول النص وقصره، فإنها تزخر بالمعالم التداولية من إشارة وحجاج وافترض مسبق وحوار، وقد ثبت لدينا في هذه الدراسة نجاعة تطبيق المنهج التداولي في دراسة الإشارة بكفاءة، ولم يقف عند

حدود الملفوظ فقط، حيث تختلف معان ومقاصد الإشارة الواحدة باختلاف السياق والموقف.

• إن الرسول كان يحمل أغراضا ومقاصد في كل ما يفعله من كلام أو إشارة، وحتى سكوته كان يقصد بها تنبيه الغافلين وجذب الانتباه لمحاولة إيصال الرسالة الإلهية بكل الطرق المتاحة.

• اشتملت أغلب الأحاديث النبوية الإشارية على الافتراض المسبق، مما يدل على قدرة الرسول في توقع ما يختلج في أذهان أصحابه، وأحيانا يستتبطها من هيئاتهم، فيجيب على أسئلة لم تقل صريحا.

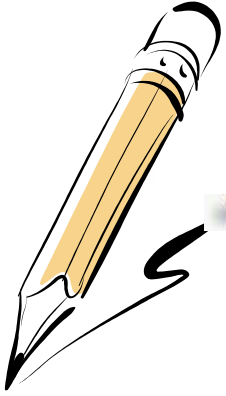
• يلاحظ تنوع أساليب الرسول من حديث لآخر، حسب ما يقتضيه السياق، وعنصر المخاطب والموضوع وأهميته، فنجد يذكر بالوعيد حيناً ويبشر بالجنة حيناً آخر، جالسا مرتاحا حيناً وواقفا قلقا في المواطن التي تزعجه والتي تغضب الله عز وجل، فنجد كل جوارحه تستفيض معه.

• قام أسلوب التوكيد في خطاب الرسول على الجناح الملفوظ والجناح الإشاري، وقد استعمله الرسول في مرات مختلفة، مستجدا بالملفوظ والمحسوس لتبليغ مقصده.

• تعاضدت الإشارة مع الملفوظ في حوارات الرسول ، وفي حالات مختلفة نابت الإشارة عن الملفوظ في الحوار، ورغم ذلك كان الحوار ناجحا وتم التواصل، مما يدل على قيمة الإشارة في التبليغ التام للمعنى، وتوافق الناس على معاني الاشارات مثلما توافقوا على الكلام المنطوق اليومي.

وفي الأخير؛ لا يسعنا سوى القول: ما توفيقنا إلا بالله، وما وفقنا به فهو من الله، وما أخطأناه فهو من أنفسنا ومن الشيطان.

قائمة



المصادر
والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: كتب:

- 1) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دون طبعة، ج3/ج5، 1979.
- 2) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ط1، 2001، ج7.
- 3) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، مج4.
- 4) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 2004، مج5.
- 5) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العدة في الطبع، ط1، 2006.
- 6) أبي الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج، دون طبعة، 1979.
- 7) أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.
- 8) أحمد المتوكل، بنية النص من الجملة إلى الخطاب، دار الأمان، رباط، المغرب، 2001.
- 9) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان، زنقة المامونية، الرباط، 2001.
- 10) إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420 - 2000.
- 11) آن ويبول و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغنوس و محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003.
- 12) الجاحظ، أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1990، ج1.

- 13) جلالى دلاش، مدخل إلى اللسانىاء اأءاولة، تر: محمد ىحىاءن، ءىوان المأبوعات الجامعىة، الساأة المركزىة، بن عكنون، الأزانر، 1983.
- 14) آواء آأام، الأءاولة أصولها و آأاهاءها، ءار كنوز المعرفة و النشر و الأوزىع، عمان، وسط البلاء، ط 1، 1437-2016.
- 15) عبء الرأمان عطا الله، حركة اللغة أىر المنأوقة فى الآءىأ النبوى، مكأبة البربرى للأباعة، القاهرة، ط1، 2011.
- 16) الرازى، مأأار الصأاأ، آأقىق: أأماء عبء الغفور عطار، نشر المكأبة العصرىة ءار النمواأىة، بىروأ، صىءا، ط1، 1420-1999، آ1.
- 17) الزمأشرى، أساس البلاءة، آأقىق، محمد باسل عىون السوء، ءار الكأب العلمىة، لبنان، بىروأ، ط1، 1998، آ1.
- 18) عبء الله صولة، نظرىة الآأاآ ءراساء و أأبىقاء، مسك لىانى للنشر، أونس، ط1، 2011.
- 19) عبء الهاءى بن ظافر الشهرى، إأسأراأىاء الآطاب مقاربه لغوىة أءاولىة، ءار الكأاب الآءىة، بىروأ، لبنان، ط1، 2004.
- 20) فرانسوا أرمى نكو، المقاربه الأءاولىة، تر: سعىء علوش، الآءىة للنشر والأوزىع، ط1، 1987.
- 21) فىلىب بلا نشىه، الأءاولىة من أوأسأن إلى وفمان، تر: صابر آباشه، ءار الآوار للنشر و الأوزىع، سورىة، اللاأقىة، ط1، 2007.
- 22) مآء الءىن الفىروزىاءى، القاموس المأىط، آأقىق: أنس محمد الشامى و زكرىا آابر أأماء، القاهرة، 1429-2008.
- 23) محمد العبء، العبارة و الإأارة ءراسة فى نظرىة الاأصال، مكأبة الآءاب، مىءان الأوبرا، القاهرة، ط2، 1428-2002.

- (24) محمد بن صالح العثيمين، شرح صحيح البخاري، تخريجات: الألباني، تعليقات: ابن باز، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008، ج2/ ج3/ ج4.
- (25) محمد عزام، النص الغائب (تجليات النص في الشعر العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
- (26) محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002.
- (27) محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، ط1، 2006.
- (28) المرتضي الزبيدي، تاج العروس، تح: علي هلاي، ط1، كويت، 2001، باب الصادر
- (29) مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، تموز (يوليو)، 2005.
- (30) منغو دومنيك، تر: محمد يحياتن، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، منشورات الاختلاف، ط1، العاصمة، الجزائر، 1428-2008.
- (31) مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007.
- (32) نتالي باكو، لغة الحركات، ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995.
- (33) نعمان بوقره، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، مصر، ط1، 2004.
- (34) نعمان بوقره، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009.
- ثانيا: ملتقيات:

35) مقال عبد الحكيم سحاليه، التداولية امتداد شرعي للسيمائية، الملتقى الدولي الخامس (السيمياء و النص الأدبي)، المركز الجامعي، الطارف.

36) مقال علجية ايت بوجمعة، التداولية دراسة في المجالات والفروع، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

ثالثا: محاضرات:

37) عرباوي محمد، محاضرات في اللسانيات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2020/2019.

38) أمينة رقيق، محاضرات في لسانيات الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.

39) محاضرات وردة معلم، محاضرات في مقياس تحليل الخطاب، مقدمة لسنة أولى ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 45، 2015-2016.

40) محاضرات كعوان محمد، الرمز و العلامة و الإشارة المفاهيم و المجالات، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة.

رابعا : مواقع الكترونية .

41) أنواع النصوص في اللغة العربية كتابة ليلي العاجيب - آخر تحديث: 2 أكتوبر 2019.

https://mawdoo3.com/%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B9_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B5_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9



فهرس



المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة: أ-ج

الفصل الأول: الفرش النظري للتداولية والخطاب الإشاري

أولاً- تحديدات مفاهيمية للتداولية:	5
1- تعريف التداولية:	5
1-1- التداولية لغة:	5
1-2- التداولية اصطلاحاً:	7
2- نشأة التداولية:	8
2-1- رأي شارل سان درس بيرس:	9
2-2- رأي تشارلز وليام موريس:	10
2-3- رأي جون أوستن :	11
2-4- رأي ج.ر. سيرل (J R Searle):	12
3- أنواع التداوليات:	14
4- مهام التداولية:	15
5- مفاتيح التداولية:	16
6- مباحث التداولية:	17
ثانياً: تحديد مفاهيمي للخطاب الإشاري	21
1- تعريف الخطاب:	21
1-1- الخطاب لغة:	21

23	1-2- الخطاب اصطلاحا:
23	2- أنماط الخطابات:
25	3- تعريف النص:
25	3-1- النص لغة:
26	3-2- النص اصطلاحا:
27	4- أنواع النصوص:
29	5- الفرق بين النص والخطاب وفق المنظور التداولي:
31	6- تعريف الخطاب الإشاري:
31	6-1- الإشارة لغة:
31	6-2- الإشارة اصطلاحا:
33	6-3- مفهوم الخطاب الإشاري:
34	خلاصة:

الفصل الثاني: الأبعاد التداولية للخطاب الإشاري عند الرسول

36	تمهيد:
38	أولا: الإشارة بهيئة الجلوس والمشي
47	ثانيا: الإشارة بملامح الوجه
52	ثالثا: الإشارة باللسان
53	رابعا: الإشارة باليد
60	خامسا: الإشارة بالأصابع
66	خلاصة:

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة تداولية الخطاب الإشاري عند الرسول ، من خلال بعض الأحاديث النبوية المتضمنة للإشارة، والمنتقاة من صحيح البخاري أنموذجاً، ولأجل ذلك أنشئ البحث على فصلين، الفصل الأول نظري، تضمن الفرش المفاهيمي للتداولية والخطاب الإشاري، والفصل الثاني تطبيقي، تناول الأبعاد التداولية للخطاب الإشاري النبوي، وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي، وخلصنا في الأخير إلى جملة من النتائج أبرزها هو أن لغة الإشارة في الحديث النبوي أسهمت مساهمة بارزة في بلاغة المعنى وضوحه ودقته، وتكاملت مع اللغة الملفوظة في إنجاح عملية التواصل.

الكلمات المفاتيح: التداولية؛ اللغة الإشارية؛ الخطاب النبوي؛ صحيح البخاري.

Summary

our research aims to study the deliberative discourse of the prophet Mohammed –may god bless him and grant him peace–, through some prophetic hadiths that include signs (indicatives) that have been selected from sahih al-Bukhari as model. For this reason, the research is based on two chapters, the first chapter includes the deliberative conceptual overlay an the indicative discourse, and the second chapter is practical, it deals with the deliberative dimensions of the indicative speech of the prophet Mohammed – peace be upon him–. we have relied on the descriptive approach and concluded in the end to a number of results, the most prominent of which is that the sign (indicative) language in the hadiths of prophet Mohammed – PBUH– made an outstanding contribution to the rhetoric of the meaning, its clarity, accuracy, and complementarity with the spoken language in the success of the communication process.

key words: deliberative, sign/indicative language, srophic discourse, Sahih al-Bukhari.